روايات عبير

الوجه الآخر للحب

www.elromancia.com

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

No. 028

مرمورية

روايات عبير

الوجه الآخر للحب

◆ الحب لا يعرف الفروق والمسافات والأجناس.. فهو يخترق حجب القلب ويتغلغل إلى خلاياه بلا مقاومة.. هكذا تزوج المخرج السينمائي المعروف في هوليود (لومارش) بالممرضة المتواضعة الجمال (فاى) التي أخلصت له بصدق.. لكن قصة انتحار خطيبته السابقة، وظنونه التي تسببت في فقد جنينها، أديا إلى رحيل فاى عنه.

إلا أن رحلتهما معا كصديقين بالصدفة.. أظهرت حقيقة حبهما العميق.. عندما تعرض القطار لحادث مأساوي.. وبادر كل منهما بالعمل تلقائيا على إنقاذ الآخر.. مضحيا بنفسه دون تفكير. لكن هل يفقد لومارش إحدى يديه، تعود إليه فاى ثانية، أم أنه سيرفض إشفاقها على حاله ويكملان إجراءات الانفصال ..؟.. وهل ستذوب قصة المنتحرة من الذاكرة بعدما تظهر الحقائق المثيرة..؟

سوريا	٧٥ ل.س	البحرين	٧٥٠ فلس
مصر	٥ جنيه	قطر	٨ ريال
لبنان	٢٥٠٠ ل.ل	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	المغرب	١٥ درهم
السعودية	١٠ ريال	ليبيا	١,٥ دينار
الكويت	٧٥٠ فلس	تونس	١,٥ دينار
الإمارات	١٠ درهم	اليمن	٢٠٠ ريال

W.Salama 0101517873

No.028

روايات عبير

الوجه الآخر للحب

www.elmaktabeh.com

فيوليت وينسبير

الناشر
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

روايات عبير 028

الوجه الآخر للحب

اسم السلسلة : روايات عبير
اسم الكتاب: الوجه الأخر للحب
الاسم الأصلي: LUCIFER'S ANGEL
اسم المؤلف: فيوليت وينسبير
رقم الايداع بدار الكتب المصرية: ٢٠٠٤/٤٥٨٢
الترقيم الدولي: I.S.B.N. 977-376-054-5
جمع اليكتروني: فور إتش ت:٠١٠/٦٦٧٤٣٢٥
تصميم واخراج الغلاف: وائل سلامة

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
٢٠٠٤

تطلب كافة منشوراتنا:
حلب: الجميلية أمام مسرح نقابة - ت: ٢٢٥٦٨٦٠
دمشق: مكتبة رياض العلبي - خلف البريد ٢٢٣٦٧٢٨

الدار العربية للكتاب
دمشق - القاهرة

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودي هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ١٣٣٤٤ فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٣٩١٦١٢٢
Email: darkitab2003@yahoo.com

www.elromancia.com
مـــــرمـــــوريـــــة

١ - بعض من الماضى

جلست فاى تنظر إلى خاتم الزواج الجديد الذى يزيّن اصبعها، إنه خاتم رائع مصنوع من البلاتين تحيط به أحجار صغيرة من الماس البرّاق. وكانت شمس الخريف تعكس أشعتها على أحجاره الكريمة، فتزيده بريقًا وجمالاً. ولكن بدلاً من أن تشعر بالسعادة ملأ قلبها الخوف. ثم ألقت نظرة على زوجها الجالس بجانبها. يقود السيارة على الطريق الرئيسى فى كاليفورنيا. وراحت تفكر وتحدّث نفسها قائلة: لماذا نلزم الصمت مع أن مراسم الزواج قد تمت. وسألت زوجها :

«متى نصل إلى الكوخ يا لو؟»

ذلك أن لو اقترح تمضية شهر العسل فى كوخ يمتلكه على تلال سيرينا، ووافقته فاى على ذلك، ولكن فاى شعرت و هى تسأله أن لسانها أصبح كالمشلول. وكأنها لم تنطق.

نعم: أقبله زوجًا منذ فترة وجيزة. تملكّها الخوف من جديد.. وشعرت ببرودة شلّت حركتها، وتساءلت: لماذا تزوجت لو!

إنها بلاشك غلطة جسيمة، ولن يعرفا معًا طعم السعادة أبدًا.

فبالنظر إليه، وجدته ساكتًا منطويًا على نفسه. وتملكها اليأس وشعرت بتعاسة لدرجة أن الدموع كانت تطفر من عينيها وهى إلى جواره. لماذا إذن تزوجها وهو لا يشعر بالسعادة أو الفرح أو أى شىء من ذلك؟

ثم التفت وراح ينظر إليها ويقول:

«سوف نصل إلى الكوخ فى حوالى الساعة الثامنة. أؤكد لك أنك لن تجدى هناك عناكب أو رطوبة».

وابتسم ابتسامة ساخرة رفعت جانبًا من فمه الواسع وقوست حاجبه الأيسر فى استهزاء واضح، ثم أضاف:

«الواقع إن الكوخ مريح، وفيه حمام، ولكن المياه لا بد أن تسخن أولاً على الموقد».

ردت فاى قائلة:

«هذا جميل».

«من يسمعك يقول إنّ كلامى لا يرضيك. ماذا بك؟»

«لا شىء».

«لابد أن فى الأمر شيئًا لا يرضيك، فأنت تبدين كالشبح... فهل حل السأم من الزواج بهذه السرعة؟»

«لا طبعًا».

قالت ذلك وراحت تدير خاتم الزواج الثمين حول اصبعها، شعرت أنه اصبح ثقيلاً وغريبًا مع أن الماس يتلألأ ويتراقص أمام عينيها،

فودت لو تخلّصت من هذا الشعور الذى يسيطر عليها.

ثم قال لو:

«إنك تشعرين بالجوع، فلابد أن كل ما تناولته من الطعام هو فنجان قهوة». «لا أكن أشعر بالجوع».

سوف نتوقف عند أول مطعم مناسب لتناول الطعام. وتشعرين بالتحسن عندما تأكلين شيئًا يا حبيبتى».

وابتسم لها ثم استدار وأعطى كل اهتمامه إلى القيادة.

غاصت فاى فى مقعدها وراحت تدفع فكرة البكاء بعيدًا عنها. واستسلمت لقدرها، فهى متزوجة الآن من لو مارش.

لو مارش اسم ساحر فى عالم الإخراج السينمائى، صحيح أنه يبلغ الرابعة والثلاثين من عمره فقط لكنه حقق الكثير من النجاحات، وارتقى بسرعة سلم الشهرة الشاق فى هوليود، واختار فاى كى ترافقه كزوجة... لكن هذا الاختيار لم يكن بسبب الحب.

فعندما طلب يدها صارحها منذ البداية أنه يريد الزواج لأنه سئم الوحدة، والعيش بمفرده، ولذلك سألته:

«وهل يقدر لهذا الزواج أى قدر من النجاح فى حين أنك لا تشعر نحوى بالحب؟»

فضحك ساخرًا وقال لها:

«الحب! هل أشرح لك الحب يا صغيرتى؟ إنه كلمة جميلة يضعونها على بطاقات الأعياد والتهنئة. هو عنصر يذيبونه فى كلمات الأغانى

www.elromancia.com

الشائعة... لا تطلبى منى أن أسمعك كلمات جميلة. فإنى لست كذلك، بل تقبلى منى ما أستطيع إعطائك إياه...»

واعتبرت فاى أن مجرد رغبته فيها هى معجزة تقبلتها بامتنان ولهفة، كالطير الذى يتقبل بشوق الفتات الذى يصادفه. ولم تصدّق أنه معجب بها كما قال، فهى فتاة عادية لا يحيطها البريق، أما إعزازه إياها فهو فى نظره يعنى أنه يعجب بتواضعها ونكرانها لذاتها. فيمكنه أن ينساها كلما أراد، وأن يتأكد أنها لن تلومه ويمكنها هى أن تذهب بعيدًا عنه وتشغل وقتها بما يسليها لحين يتذكرها ويشير إليها باصبعه. فتهرع إليه ثانية.

أما فاى فكانت غارقة فى حبه، أحبته من أول ابتسامة خصها بها. وقد تقابلا فى منزل جدته حيث كانت فاى تقوم بمهمة تمريض السيدة مارش صاحبة الملايين الشديدة العصبية.

كانت فاى من أصل انجليزى هاجرت إلى الولايات المتحدة منذ سنتين عندما توفيت والدتها الأرملة. وكان حضورها إلى أميركا نتيجة برنامج تبادل خاص بالممرضات لكنها بقيت لتعمل ممرضة فى المنازل مرخصًا لها من قبل الدولة. ووجدت فاى أن عملها هذا يفوق عملها بالمستشفيات ماديًا ومعنويًا. ومنذ أول يوم عمل فى لوريل باى لدى السيدة مارش أسرتها بهيبتها وأدهشتها بغضبها، كما أعجبت فاى بجمال ديللا حفيدة السيدة مارش.

وشعرت أن هذه الأسرة تختلف عن غيرها، وبرغم أن فاى لم تكن متكبرة لكنها كانت تفخر بأن السيدة مارش كانت أغنى سيدة فى كازا روش وأن شقيق ديللا كان مخرجًا سينمائيًا معروفًا.

وبعد ظهر أحد الأيام حضر لو لزيارة جدته فشعرت السيدة مارش بالفخر لأنها اعتقدت أنه حضر من هوليوود خصيصًا ليسأل عن قرحة معدتها. لكنه أخبرها أنه حضر إلى كازا روش لبعض الأعمال السينمائية، ولم يكن يعلم أنها مريضة بالقرحة. طريقته وهو يخبر جدته بذلك أمام فاى أكدت لها أنه لا يكن لجدته أى عاطفة برغم أنها ربته وربت شقيقته ديللا، إذ توفى والدهما وكانت ديللا فى الثانية من عمرها وهو فى الثانية عشرة. أما والدتهما. فقد تزوجت ثانية بعد وفاة زوجها مباشرة. ورفض زوجها الثانى تحمل مسئولية طفليها فتركتهما بكل قسوة مع حماتها. واختفت نهائيًا من حياتهما.

عرفت فاى بكل هذه التفاصيل الدقيقة من ديللا بعد أن توطدت الصداقة بينهما سريعًا. وربط بينهما شعورهما بالوحدة وبأن كلا منهما فقدت شخصًا عزيزًا عليها، فقد فقدت فاى والدتها أما ديللا فقد قتل زوجها الشاب فى حادث سيارة بعد زواجهما بثلاثة أشهر فقط.

وكانت من عادة فاى وديللا التحدث طويلاً خلال أيام أغسطس الحارّة. ومع أن السيدة مارش كانت تنتابها أحيانًا نوبات غضب، كانت تعد مريضة مريحة نسبيًا. تنام كثيرًا وبذلك نمت تلك الصداقة بين فاى وديللا وتوطدت، ونتيجة لمشورة فاى ونصيحتها قبلت ديللا أخيرًا أن تتزوج ويل برونسون المحامى الشاب الذى يجاورهم فى السكن.

وذات يوم قالت ديللا لفاى وهما جالستان فى حديقة الورود:

«هذا الرجل مختل العقل وأود لو تركنى وشأنى».

فردت عليها فاى قائلة بجرأة لم تتعودها من قبل:

«كى تعودى إلى أفكارك الكئيبة؟»

ولم تكن من عادة فاى التدخل فى شئون الآخرين، لكنها تحب كلاً من ديللا وويل، وتظن - وتشاركها السيدة مارش هذا الرأى - أنه إذا لم تسرع ديللا وتجد ما يحبب لها الحياة فإن حياتها ستتحول إلى رتابة كئيبة لا تجد فيها إلا صحبة نفسها فقط وبعض ذكريات أليمة لزوجها الشاب الذى كان مستهترًا وهى غارقة فى حبه تمامًا.

«ولكن لن أتمكن من حب ويل كما أحببت فيليب... سأكون مخادعة له».

«إذا كان هذا هو تفكيرك إذن فأنت تهتمين به؟!».

فابتسمت ديللا وقالت:

«من أين جاءتك هذه الحكمة وأنت صغيرة السن إذ يبدو عليك أنك لا تتجاوزين السادسة عشرة؟»

كانت السيدة مارش تتماثل للشفاء سريعًا ولذلك نظمت الأسرة حفلاً صغيرًا للشاى، وهى تشعر بالسعادة لإمكانها احتساء الشاى ثانية بعد شفائها.

واكتشفت فاى أثناء الحفل أنها وقعت فى الحب لأول مرة.

أثناء هذا الحفل أيضاً أعلن كل من ديللا وويل عزمهما على الزواج. وكانت ديللا ترتدى ثوبًا من الحرير يكسو وجهها الخجل وهى تعلن هذا النبأ، أما ويل فبدا كالطفل السعيد وأبدت السيدة مارش

رضاها بهزات متتابعة من رأسها.

وراحت فاى تراقب لو خلسة فوجدت عينيه تبرقان بمكر خفى وهو ينهض بقامته الطويلة. ويمسك فنجان الشاى عاليًا محييًا ديللا وويل قائلاً:

«أنا أباركك هذا العقد ولا تنسيا أن تسمّيا أول طفل لكما باسمى!».

وقالت السيدة مارش:

«تجاوزت الحدود يا لو مارش، لماذا لا تعود إلى هوليوود حيث تقيم؟»

«سوف أعود يا جدتى العزيزة بعد أن أمضى شهر العسل».

«ماذا تقول؟»

«شهر العسل - الشىء الذى يفعله كل الذين يتزوجون».

ثم وضع فنجانه على المائدة واستدار ناحية فاى قائلاً:

«تعالى نتمشى معًا».

جذبها فى ذهول، ثم قادها تحت شجر الحديقة والخوف والتخبط جعلا قلبها يسرع بدقاته حتى أنها لم تتمكن من صده.

«أيتها الكاذبة الصغيرة!»

ارتجفت كالفراشة أمام شعلة عواطفه، حتى سمعته يقول:

«تزوجينى وعيشى معى فى هوليوود، فقد سئمت الوحدة والعيش بمفردى».

www.elromancia.com

فتح لو باب الكوخ. ونقلا كيسين كبيرين مملوين بالطعام اشترياه من بلدة مرّا بها. ووقفت فاى قرب الباب.

وشعرت أنها تحلم، وأنها سوف تستيقظ بعد برهة وتجد أن كل ما يحيط بما فى ذلك لو نفسه وزواجها منه، وهذا الكوخ المطوق بالأشجار جزء من ذلك الحلم. ورأت لو يخطو نحو الكوخ المظلم ويفتح النافذتين على اتساعهما. فغمر الضوء المكان وكادت فاى تصرخ من فرط إعجابها ودهشتها. فسألها لو قائلاً:

«هل تروق لك هذه الغربة؟».

«إنها رائعة».

«تعالى. سوف أريك المطبخ».

ذهبت معه إلى المطبخ الأنيق الصغير. ثم ابتسم عندما لاحظ إعجابها المتسم بالدهشة، وسألت:

«كيف تحافظ على الكوخ نظيفًا مرتبًا؟»

فرد قائلاً:

«هناك امرأة تسكن فى الوادى، تأتى لتنظيف الكوخ فأحيانًا أحضر إلى هنا أثناء شهور الصيف».

«كلمة كوخ، لا تصف هذا المكان يا لو».

«نعم أنا متأكد، أن تخيّلك هذا الكوخ يعنى أنه كوخ مهدم. فيه سريران صغيران، ومضخة ماء لكنك لم تتزوجى شخصًا مفلسا».

ثم ضغط لو على يد فاى فشعرت بخاتم الزواج فى إصبعها، وفكرت أن هذا الخاتم البلاتينى الجميل المرصّع بالماس كلّف كثيرًا من المال، فكست الحمرة وجنتيها فسألها:

«لماذا دائمًا يكسو الخجل وجهك؟ وماذا يدور فى رأسك الصغير؟»

«كان يجب ألا تدفع كل هذا المال فى خاتم الزواج.. ما كان يجب أن تشترينى يا لو».

فقال مندهشًا والابتسامة تموت على شفتيه:

«أشتريك؟ هذا تشبيه فظيع».

وأخذ يدها وراح يرنو إلى الخاتم ويقول:

«ظننت أن الخاتم سوف يعجبك».

«إنه رائع جدًا.. ولكنه غالى الثمن جدًا».

ولاحظ خجلها، فضحك فجأة وقال ساخرًا:

«تظنين أننى أشتريك؟ أؤكد لك يا عزيزتى، أن زوجة لو مارش، سوف ترتدى الحرير، لا الثياب المصنوعة من القطن».

فنظرت إليه فاى بدهشة بالغة، لكنه ضحك وقال:

«من السهل أن أرى أنك لم تتعودى الاطراء، فكفى عن الدهشة لك فعلاً فم مدهش وعينان جميلتان، ولم لا أقول لك ذلك؟»

ابتسمت وشعرت بالسعادة تتغلغل فى جسمها، جميل أن يقول إنها تملك فمًا جميلاً وعينين مدهشتين، وخصوصًا إذا كان قائل ذلك هو

www.elromancia.com

لو وتنبهت إليه يضيف:

«حدثيني عن نفسك يا فاى، أين عشت فى طفولتك؟»

«عشت فى مكان فى لندن يسمّى هولووای وكانت شقتنا تتكون من غرفتين وتملأها رائحة طعام الجيران ويزعجنا ضجيجهم، وكانت والدتى تعمل فى أحد المصانع. أرادتنى أن أدرس التمريض لأنه كان يقلقها أن أعمل فى مصنع مثلها. وحين ماتت وأكملت دراستى التحقت بالعمل كممرضة. كنت شغوفة لأن أرى بلادًا أخرى وأن اتعرف على العالم حولى».

فقال وهو لطيف للغاية مما أدهش فاى:

«وذلك عن طريق زيارة المرضى؟»

فقالت فاى:

«هذا القول قد يبدو سخيفًا. ولكن التمريض الخاص لا بأس به وخصوصًا إذا كان على الممرضة أن تكسب عيشها بشرف».

«وهل يروق لك عملك الجديد؟»

قال ذلك وهو يبتسم، ولما طالبها بالرد أخفت وجهها فى وسادة الأريكة لتتلافى النظر إلى عينيه، وراحت تتمتم:

«أحببت علمى الجديد، ولكنى أعترف أن الرئيس يخيفنى قليلاً، فهو ينظر إلى قدمى تمر».

وسمعته يضحك ويقول:

«يا صغيرتى يجب أن تخافيه عندما يكفّ عن النظر إلى قدميك».

وبعد ذلك بثلاثة أيام وقفت سيارة لو فى المدخل المستدير الأنيق لعمارة كريستال كورت فى هوليوود حيث يستأجر لو شقته. وتطلعت فاى إلى العمارة البيضاء الجميلة بشىء من الخوف الممزوج بالتوتر، ولم يفارقها ذلك الشعور وهى تجتاز المدخل معه وتدخل المصعد الذى نقلهما إلى الطابق الأخير.

تطلعت فاى من إحدى النافذتين فادهشها المنظر. رأت طريقًا عريضًا نظيفًا على جانبيه أشجار النخيل ذات الجذوع السميكة اصطفت كالحراس.. ومنازل جميلة وسط حدائق خاصة تظللها شجيرات الكاميليا وعندما خاطبها أجفلت واستدارت عن النافذة، لتمسك بيد مدها إليها، وسطعت أشعة الشمس على شعرها فأحالته إلى لون الذهب، ثم أخذت تداعب ثوبها المصنوع من التيل الأزرق، وشعرت بدفء أصابعه تقبض على أصابعها الباردة.

كانت الشقة كبيرة وحديثة جدًا ويفرش غرفة الجلوس بساط أزرق زاه يصل حتى الجدار الرمادى. وضع نبات الصبّار فى أوان حمراء وفى الغرفة أريكة ضخمة بيضاء تتناثر عليها الوسائد الحمراء، وفجأة قال لو:

«تعالى أرينى بعض حماستك للشقة».

ولكنها حولّت عينيها وقالت:

«إنه مكان رائع يا لو».

وراح لو يراقبها فوجد يديها تقبضان بشدة على الحقيبة البيضاء،

فغضب لأنه وجد أن الخوف يكاد يكسو وجهها. خطا عبر الغرفة إليها، وأمسكها من كتفيها وسألها قائلاً:

«ماذا يخيفك يا حبيبتى؟»

«ولكنى لست خائفة».

«بل إنك خائفة.. هل تتخيلين هذه الغرفة وقد امتلأت بأصدقائى فترتجفين. ماذا تظنين أنهم فاعلون بك؟ هل سيلتهمونك؟»

هزت رأسها معترفة له قائلة:

«سوف يظنوننى امرأة تافهة».

«نعم. أشعرتهم بذلك، وإذا تصرّفت كغريبة فى بيتك».

«ولكنى أشعر أننى غريبة فعلاً.. إننى.. إننى..»

ولم تتمكن من مصارحته ولم تتمكن من القول: إننى خائفة يا لو. كل شىء هنا غريب يختلف عما رأيته وعرفته من قبل، فأعطنى الوقت الكافى كى أتعوّد على حياتى الجديدة. وتقبّل خوفى بهدوء فسرعان ما يخبو ذلك الخوف ويموت.

لم تقو على قول ذلك فلن يفهمها، لأنه كان بعيدًا تمامًا عن كل خوف أو تحفظ، لدرجة أنه لا صبر لديه نحو من ينتابهم الخوف، ابتسمت وهى تقول:

«سوف أتعوّد سريعًا على حياتى الجديدة».

ولكن ابتسامتها كانت ضعيفة وقلبها خائف. ووجدت أنها فقدت

ثقتها بنفسها، تلك الثقة التى كانت تتمتع بها أثناء إقامتها فى سيرينا. أما لو فرد عليها قائلاً:

«آمل أن يتحقق ذلك».

وهكذا كانت حياة فاى الزوجية فى هوليوود مزيجًا من الرهبة والإثارة تختلف تمامًا عن حياتها الأولى. فهنا لا يكاد يطلب منها شىء. نظافة البيت تقوم بها إدارة كريستال كروت. ولا تعد من وجبات الطعام سوى وجبة الإفطار كلّ صباح قبل ذهابه إلى الاستوديو، أما العشاء فيتناولانه دائمًا خارج المنزل كل مساء، وكان هذا النظام يضايق فاى مع مرور الأيام. وظنت أنه من السخف أن يتناولا العشاء كل مساء فى المطاعم الصاخبة المزدحمة بالناس بينما هى طاهية ماهرة ومطبخها يحتى كل الأدوات الحديثة. ولا تستعمله سوى مرّة واحدة صباح كل يوم.

لذلك قررت أن تغيّر من ذلك النظام. وذات مساء رجع لو من علمه فوجدها تعد المائدة فى غرفة الجلوس بعناية فائقة، فتنسق الأزهار وتضع المفارش وتعد الشمع الأحمر الطويل فى الشمعدانات الجميلة التى اشترتها فى اليوم نفسه. وفوجئ عندما دخل إلى غرفة الجلوس. فبادرها بقوله:

«ما كل هذا؟ هل نحن فى انتظار ضيوف؟»

فاستدارت فاى تبتسم له، ثم قالت:

«فكرت أنه من المستحسن أن نتناول العشاء فى المنزل ولو مرة واحدة».

www.elromancia.com

ثم تقدمت نحوه وسألته قائلة:

«ألا توافق على هذا الرأى يا لو؟»

ولكنه لم يجبها فورًا بل مكث برهة يفكر، وراحت عيناه تتفحصانها ثم قال:

«تبدين وكأنك من الخدم. لا تمثلى دور عروس ريفية فسنخرج لتناول العشاء».

دهشت فاى لتلك النبرة القاسية فى صوته، وراحت تتفحص وجهه الذى بدا الغضب على كل قسماته ثم سألته:

«هل صادفتك اليوم مشاكل يا لو؟»

«نعم».

«صادفتنى ثلاث مشكلات اليوم يا صغيرتى، وأشعر بأننى كالشيطان عندما يغضب».

وأضاف:

«رجال قسم الدعاية الأغبياء يثيرون الزوابع، لأنى طلبت كونى كار لتمثل فيلم الذرة فى المدينة. ولكنهم تحولوا فجأة إلى رجال دين لأن هذه الممثلة الصغيرة الجميلة، كانت قد تورطت فى فضيحة منذ ثلاثة أشهر! وماذا يهم. إن هذه الطفلة يمكنها التمثيل.. لا دخل لنا بما تفعله بعد ساعات العمل؟ إننى لا أهتم لذلك أبدًا».

فسألته فاى قائلة:

«وماذا حدث يا لو؟ هل أمكنك إقناع رجال الدعاية بالسماح لها أن

تعمل؟»

كان عليها أن تتعلّم أن اللجام كان شيئًا يأباه لو ويقاومه بقوة، مثل قوة الحصان الجامح الذى لا يقهر، ومثل ذلك الحصان الجامح ترى أنه يثير الدمار والخطورة كلما انتابته هذه الحالة.

ولما رأى ابتسامتها شاركها بضحكة ثم قال:

«نعم حصلت على كونى غصبًا عن الجميع!»

واقترب لو من فاى وأمسك ذقنها ورفع إليه وجهها وقال:

«يؤسفنى أن أفسد عليك ترتيب العشاء. ولكنى أريد الليلة موسيقى وصخبًا».

«ولكن لدينا دجاجة فى الفرن الآن».

«هذه مشكلتك يا حبيبتى، وليست مشكلتى».

ثم استدار متجهًا غرفة النوم وهو يفك رباط عنقه. ولكن فاى جرت وراءه وأمسكت بيده وقالت له:

«إنك لست عادلاً يا لو».

ونظرت إليه برجاء واستطردت قائلة:

«وهل هذا شىء كبير أن أطلب منك أن تبقى فى المنزل ليلة واحدة وتأكل عشاءنا بمنزلنا؟»

فقال لها وقسمات وجهه يبدو عليها الضجر:

«اسمعى.. أنا أعمل عملاً شاقًا طوال اليوم وأتطلع إلى البهجة فى

www.elromancia.com

المساء، ويؤسفنى ألا يصادف ذلك رضاك يا سيدة مارش. ولكن عليك أن تتعودى تحمّل نزواتى البوهيمية فيما أحب أو أكره. وإلا فسنظل نتعرّض لمثل هذه الحرب مساء كل يوم. فأنا لم أخلق كى أكون حيوانًا منزليًا أليفًا يا صغيرتى، اتركى المحاولة فالنمر لا يرقد على عتبة المطبخ.

ثم أبعد يدها عنه. وقصد الحمام وهو يلقى بسترته ورباط عنقه على السرير. وترددت فاى. ماذا تفعل؟ لو بالغ الغضب، ومن السخف أن تستمر فى النقاش معه وفى الوقت نفسه تعبت فى إعداد العشاء، فالدجاجة نضجت الآن وصارت ذهبية اللون. والثلاجة تحتوى على الخوخ الممتزج فى الجيلى. بجانب المثلجات. لكنها هتفت فى نفسها: «للأسف سوف يذهب هذا العشاء الفاخر هباء».

والتفت لو إليها وهو داخل إلى الحمام وقال:

«سوف تأكل الدجاجة باردة فى وجبة الإفطار».

«وهل تأكل البطاطا كذلك باردة ورؤوس الكشك الماسى؟»

«وهل سلمت سلاحك؟»

قال هذا وهو يلتفت إليها ويبتسم ثم أكمل يقول:

«ألا يخيفك أن أتعشى وأراقص إحدى الشقراوات الصغيرات إذا لم تخرجى معى؟ إنك تعلمين أن بإمكانى أن أفعل هذا يا صغيرتى».

وبرغم أن قوله هذا ألقاه بعدم اكتراث فهو ينطوى على معان كثيرة، أيقظت التحدى فى فاى وجعلت روحها الهادئة تهب فى غضب جامح، إذ شعرت أنه واثق من طاعتها... واثق أنها لن تخالفه فى شىء.

وأنها تعتبر زواجهما شيئًا رقيقًا هشًا كآنية زجاجية تخاف عليها وتعتنى بألا تكسرها، فيفشل زواجهما.

وبكل إصرار ووقار جابهته لتقول له:

«اذهب وراء مسرّاتك يا لو... تعش وراقص الشقراوات إذا شئت ولكنى سأبقى فى المنزل وأتناول عشائى الرائع، ثم أدخل سريرى ومعى كتابى، ولن أعاتبك حين تعود أبدًا».

ثم استدارت وتركته عائدة إلى المطبخ، وهى تشعر بسعادة غامرة ولكن هذه السعادة تلاشت فى الواحدة والنصف صباحًا، عندما فتحت أباجورة السرير للمرة الرابعة. وراحت تنظر إلى الساعة الصغيرة. وأخذت أصابعها تتخلّل شعرها وهى تحاول البحث عن النوم فلا تجده، ثم تغوص فى السرير الكبير وتسحب الغطاء الحريرى عليها حتى ذقنها.

كإن اعتداد لو بنفسه لا ينال منه شىء.. كان كالبريق الذى يكسو سطح الأشياء، ومن الصلابة بحيث لا يلينه الحب. وأخذت تلوم نفسها لأنها كانت السبب فى هذه البلبلة. وكان من الأفضل أن تخضع له، فهو لم يطلب منها شيئًا سوى أن تكون عونًا له على تناسى تعبه بعد يوم عمل طويل قاس. كانت غلطتها أنها مثلت دور ربّة البيت، فهى لم تكن فى الواقع كذلك بل هى تحفة أخرى من التحف التى تزين منزله، والتى قد يعجب بها إذا أراد وقد يدعها فى مكانها، ثم ينساها. وانكمشت فى فراشها إذ شعرت بوقع أقدامه فى غرفة الجلوس وسمعته يصفر أحد الألحان التى يحبها، فلم تتحرّك من فراشها فربما ظنّ أنها نائمة، وفتح المصباح فسبحت فاى فى نوره الوردى، وكانت

تعرف أن لو يراقبها وينتظر أن تستدير له وتخاطبه. ولكنها لم تفعل فهو الذى يجب أن يتنازل أولاً، وكم رغبت فى ذلك.

وهمس لو أخيرًا وهو يقول:

«فاى، هل أنت نائمة؟»

لم تتحرك ولكنه عرف بغريزته أنها مازالت مستيقظة قلقة عليه، وأخذها بين ذراعيه. وتقلصت شفتاه وهو ينظر إلى وجهها الذى كساه التمرّد. ومد أصبعيه يداعب خدها ويقول:

«الا تسالينني أين كنت وماذا فعلت؟»

فقابلت نظراته بتحدّ وقالت:

«لست أدرى إن كنت قادرة على ذلك».

«هل أنت خائفة من الكذب أم من الحقيقة؟»

وكان من الواضح أنه يسخر منها، فردت عليه:

«يبدو أننى خائفة من الاثنين معًا».

ثم ضحك لو وقال لها:

«الا تريدين التفتيش فى سترتى على شعرة نسائية شقراء؟»

«انظرى إلىّ يا فاى».

«لا أريد أن نتشاجر يجب أن نكف عن ذلك يا لو أرجوك».

فرد يقول:

«إنه شىء مؤلم.. أليس كذلك؟»

ثم أخذ ذقنها بيده وأجبرها على النظر إليه. فبدت صغيرة لا حول لها ولا قوة بين ذراعيه، وتناثر شعرها الذهبى على سترته السوداء، وأظهر قميصها الأزرق لون ذراعيها الرقيقتين وتخيّل لو، وهو يبتسم . إنها كالفراشة الخبيسة. فقال:

«استمعى إلىّ جيدًا يا صغيرتى.. عندما يبذل المرء كثيرًا من الجهد كى يروض مجموعة من الممثلين والممثلات طوال اليوم عليه ألا ينقل هذا الجو المتوتر إلى منزله. ولذا يجب أن نتجنب الانفعالات إذا كنت مصممة على الردّ فأقول لك إنك تشبهين فتاة كنت أعرفها. والآن دعينا نغير هذا الموضوع».

«فتاة كنت تعرفها؟»

واتسعت عيناها وبان فيهما الألم.

وفجأة رمت بتحفظها وتحررت من كل ما يقف ضد صفحها عن لو، ولم تهتم فى تلك اللحظة أنه لم يقل لها، وربما لم تكن عنده النية أن يقول لها، أين وبصحبة من أمضى تلك الساعات التى تعذبت فيها ثم سألته وهى تتصنع الضحك قليلاً:

«بعض من ماضيك يا لو؟»

فوقف بقامته الطويلة يراقب ضوء المصباح الوردى وتأثيره على ذراعيها الممدوتين ثم أتى إليها وهو يضحك فاحتوته بين ذراعيها وشعرت بها وهى تضمه فأجاب:

«نعم بعض من الماضى!»

www.elromancia.com

٢ - سر المنتحرة

بقيت هذه الكلمات عالقة بذهن فاى مدة طويلة. كانت تعلم أنها تعنى امرأة أخرى، وأن هذه المرأة صنعت من لو ذلك الرجل القاسى المستبد المستهتر.

ولذلك دأبت فاى عندما كانت ترتاد الحفلات أو المطاعم على البحث عن وجه ربما تجد فيه شيئًا من وجهها. وكانت تلك الحفلات تقام فى هوليوود بكل جنونها وصخبها، وكأنها دوّامات ذات صوت هادر، حيث يجتمع كل من لهم صلة بالسينما فى مجموعات صاخبة، ويتكلمون كثيرًا عن كل شىء يتصل بعملهم. وكانت فاى تظن أن هذه الحفلات تعتبر إكسير الحياة لأى شخص له علاقة بصناعة الأفلام، ولكنها هى كانت تجدها مقلقة وتشعر فيها بالوحدة والحيرة.. وذلك لأنها كانت خارج تلك الدائرة الساحرة، وحتى لو كان ينسى فاى عندما يأخذه أحد زملاء العمل إلى ركن بعيد فى الغرفة، حيث يبقى إلى آخر الحفلات غافلاً عن وجودها معه تمامًا.

ومن العجب أن تلتقى فاى بكليو نيكسون فى واحدة من تلك الحفلات، وكانت كليو أول صديقة حقيقية صادقت فاى فى هوليوود.

إنها زوجة أحد المصورين السينمائيين اللامعين الشبان، كان يصوّر فى الاستوديو حيث يعمل لو. وقد أحبّت الفتاتان إحداهما الأخرى. وأصبحت كل واحدة منهما تنادى الأخرى باسمها مجردًا وتكره هذه الحفلات الصاخبة فى اتفاق تام فى الرأى. وهتفت كليو تقول:

«هذه الحفلات كالجحيم».

أجابت فاى:

«أحضرها مجبرة لأن زوجى يحب مواكبة الأحداث، فإذا كان المرء طموحًا يجب ألاّ يقبع فى منزله وينتظر الفرص حتى تأتى لتقرع بابه، هذه الحفلات هى المكان الذى يتقابل فيه المرء مع الشخصيات البارزة».

وأشارت كليو إلى شخص قصير القامة ممتلئ الجسم، ويلبس نظارة ويغرق فى محادثة مع شخص آخر، وقالت:

«هذا هو تد... فى إمكانه أن يتكلّم حتى الصباح عندما يتاح له ذلك».

ثم استطردت تقول وهى تلقى نظرة كلها حب وإعجاب إلى الشاب البدين:

«انظرى إليه إنه يملأ المكان هناك بالكلام».

ونظرت إلى فاى ضاحكة ثم قالت:

«إننا زوجان، نحب الكلام ومن المدهش أن ابننا دائم الصمت».

ثم نظرت إلى فاى وقالت:

«إنك تبدين بعيدة عن كل ما يحيط بك، وأرجو ألا يغضبك هذا القول. فهل أنت جديدة على هوليوود؟»

ردت تقول:

«أنا من انجلترا».

فبانت الدهشة لى عينى كليو وقالت:

«هل هذا صحيح؟ وهل تحبين هوليوود؟»

«لا أجرؤ على قول الحقيقة».

وتراقصت على فمها الرقيق ابتسامة، وسألت نفسها هل تصارح هذه الفتاة بما لم تقو على قوله لزوجها؟ وهو أن هوليوود تخيفها وتكاد تنزع روحها؟ وأن معظم الناس الذين قابلتهم فى مثل هذه الحفلات يشلّونها ويجعلونها تشعر بالزهق لجراتهم وطموحهم!

والآن بعد أن عرفت كليو أحست أنها تودّ مصارحتها بكل شىء ولكن ولاءها للو جعلها تتراجع، فكل ما أمكنها قوله هو:

«جوّها رائع وأنا لم أكل فاكهة بهذه الكثرة من قبل».

فردّت عليها كليو باسمة:

«إذن هذا هو سبب بشرتك الرائعة».

ثم ابتسمت أكثر عندما رأت الدم يكسو وجه فاى. ثم انتقلت عيناها إلى خاتم الزواج الذى كان يلمع فى اصبع فاى وقالت:

«يبدو أنه لم يمرّ على زواجك وقت طويل».

وابتسمت وهى تستطرد قائلة:

يبدو على مظهرك أنك عروس جديدة.. فمن هو العريس السعيد؟»

وتلفت فاى تبحث عن لو بقامته الطويلة. فرأته بجانب إحدى النوافذ، وكانت سمرته جذابة والسيجار يتدلىّ من فمه وهو يتحدث مع امراة مهيبة الشكل لا يمكن تحديد سنها بالضبط وعرفتها فاى لتوها فهى كلير ريمى، وأدهشها أن يحادث زوجها تلك النجمة، الذائعة الصيت، بدون كلفة، ثم قالت فاى وعيناها تبرقان:

«ها هو!»

ففرت كليو فمها من المفاجأة، وأطلقت صفيرًا يعبز عن الدهشة وقالت:

«أنت متزوجة من لو مارش! من الذى يصدق ذلك!»

ثم حدّقت فى وجه فاى وقالت بأسلوب غامض:

«اسمحى لى أن أقدم لك تعزيتى....»

فضحكت فاى ولم تغضب لأنها أحبت كليو كثيرًا. ثم قالت ببساطة:

«إن السيجار وحده هو الذى يجعله يبدو كرجل أعمال هام».

قالت ذلك وهى تنظر عبر الغرفة إلى لو.

كانت هناك قصص كثيرة عن ذلك الرجل، وكانت كليو دائمًا تتخيله بطلاً لكل هذه القصص. فبدا لها أنه من القسوة أن تكون هذه الفتاة

الحلوة ذات الثوب الخوخى الذى يجعلها تبدو فى السادسة عشرة من عمرها، مرتبطة به، فهو قاس متعال بعكس تدى الوديع الهادىء.

«أتخيله يلتهمك بأسنانه البيضاء المفترسة!»

ابتسمت فاى وأخذت تلك الغمازات فى خديها، تظهر وتختفى تبعًا لابتسامتها وهى تقول لكليو عاتبة:

«إنك تبدين الاحترام لواحد من أكثر المخرجين فى هوليوود أهمية».

راحت فاى تلمس الأحجار البراقة التى تحيط بخاتم الزواج وصوبت أنظارها نحو لو فرات زوجها وكلير ريمى وقد لحق بهما رجل طويل أشقر يرتدى سترة واسعة من القطيفة الداكنة فابتسمت فاى إذ كانت تحب بيل سيمانز بعينيه الزرقاوين وأدبه الجم الذى يبديه لكل النساء، وكان بيل كاتبًا مرموقًا وبرغم أن لو وبيل ليس بينهما تشابه مشترك إلاّ أنهما من أعز الأصدقاء.

وسألت فاى كليو:

«هل تعرفين بل سيمانز؟»

فردت كليو تقول:

«ومن لا يعرفه؟ إنه قديس! وأراهن أنه إذا أجرى استفتاء عن أحب شخصية فى هوليوود فلابد أن يظهر اسم بيل على رأس القائمة، فهو مهما كان مشغولاً أو مريضًا لا يتردد عن مساعدة شخص واقع فى مأزق، ويوزع أرباح كتبه على الفقراء».

همست فاى تقول:

«وعلى نهج القديسين سوف يموت بيل في شبابه».

فحدّقت كليو فى فاى بنظرة تعبر عن الدهشة وهى تقول:

«ماذا تعنين؟»

فردّت فاى تقول:

«إنه مريض وقد أخبرنى لو بذلك».

«لا تقولى هذا».

«لديه مرض فى الدم لا شفاء منها ولا دواء لها».

«بيل سيمانز من بين كل رجال العالم!»

«إذن ليس عجبًا أن ترى فى عينيه تلك النظرة البعيدة، وكأنه يشاهد مصيره».

ثم انتفضت وكأنها ترمى بالهموم عن عاتقها وقالت:

«دعينا نتكلم الآن عن ولدى الصغير حتى نبعد عنا الكآبة».

فقالت فاى لتوها:

«يسعدنى أن نتحدث عنه، هل يشبهك؟»

«لا أبدًا..»

بعد ذلك الحفل بدأت فاى ترى كليو كثيرًا وكانت شقتها خالية دائمًا أثناء النهار، فلو يتغيّب عنها لساعات عديدة ولذلك رحبت فاى

www.elmolencia.com

بصحبة كليو المسلية. وكانت فاي مزودة بمصروف سخى يمنحها إياه لو فتمتعت بشعور جميل لتمكنها من دخول أكبر المحلات.

وعندما كانت فاى ترفض زيارة المحلات التجارية، كانت كليو تصحبها إلى زيارة معالم المدينة، فتريها منازل كبار النجوم المختفية وراء أسوار الحدائق. وكان أحد هذه المنازل ملكًا لنجمة الشاشة المعروفة استرا جيمس، لكنه الآن يقف خاويًا مهملاً وسط حديقة تغطيها الحشائش، وقد اجتذب اهتمام فاى به لدرجة أنها دخلت مع كليو من فتحة صغيرة فى السور الحديدى الذى يحيط بحديقة المنزل، وتسللتا بحذر بين الحشائش الطويلة لتنظرا داخل نوافذ الطابق الأرضى.

فبدت غرفة الاستقبال مستطيلة الشكل عالية السقف يتراكم الغبار على محتوياتها، ولم يبقى من فخامة المكان سوى المدفأة برخامها، والسقف بنقوشه الرائعة التى تمثل جنيات الغابة نصف العاريات، وهن يهرين هلعًا أمام هجوم المخلوقات الخرافية التى نصفها على هيئة رجل ونصفها الآخر على هيئة حصان.

ثم همست كليو تقول:

«ألا تتخيلين استرا جيمس وهى واقفة أمام هذه المدفأة ترتدى ثوبًا من القماش الذهبى، وعيناها مصبوغتان؟»

فهزت فاى رأسها وقالت:

«ماذا حدث لها؟ لقد كانت ذائعة الصيت فى وقت ما».

فردت كليو تقول:

«أظن أنها أفلست على أى حال تركت هوليوود منذ سنوات، وكانت تمتلك الكثير من كل شىء، جمالاً رائعًا ومعجبين، مما كان له أثر سىء عليها فى النهاية. ومن يدرى ربما تزوجت رجلاً طيبًا واستقرت معه فى مكان بعيد هادئ.

فبدا على فاى الشك وقالت:

«بعد كل هذه الشهرة؟ هل يمكنها ذلك؟»

فهزت كليو كتفيها وقالت:

«الحياة كلها متقاضات يا عزيزتى».

ثم أردفت تقول:

«ولا أحد يعلم كيف يتصرّف إذا وقع فى مأزق. فبعضهم ينتحب وبعضهم يموت، وقد يبقى البعض كى يناضل ولكنه قد يفرّ هاربًا بعد ذلك».

وكان من عادة فاى وكليو تمضية معظم الوقت على الشاطئ يصاحبهما ابن كليو الصغير إيريك الذى كان يركض ويلعب بنشاط تحت أشعة الشمس.

وكان إيريك يختلف تمامًا عن والدته، فقد كان طفلاً جادًا أشقر، ولذلك ظن رواد الشاطئ خطأ أنه ابن فاى، وعلقت كليو على ذلك بقولها:

«إنك تمثلين الأمومة يا فاى، فالكل يحسبونك خطأ أم إيريك. ولذلك يجب أن يكون لك طفل».

خجلت فاى واصطبغ وجهها بالدم، فهى تحب الأطفال. والأطفال يحبونها، لكنها لا تظن أنهم مدرجون فى تخطيط حياة لو، ولم تفهم كليو سبب خجل فاى فقالت لها:

«هل معنى ذلك أنك تنتظرين طفلاً بالفعل؟»

فهزت فاى رأسها بالنفى، أما كليو فأخذت تتطلع إلى فاى وهى تحتضن إيريك وتقول:

«لو يختلف تمامًا عن تيد الذى يكنك التصرّف معه بهدوء، أما لو مارش فهو وسيم للغاية، ألا يخيفك ذلك يا فاى؟ ألا تشعرين بالقلق دائمًا؟ لو كنت مكانك لفعلت. ولذلك أحمد الله على أن تيد كان من نصيبى، وإنى متأكدة أنه لن يسبب لى أى قلق مثل قلق باقى النساء».

فردّت فاى تقول بعناية وهى تمرح مع إيريك وتدغدغه، وتخفى وجهها عن عيون كليو المليئة بالفضول:

«إنى لا أفكر فيما يأتى به الغد».

«لماذا تزوجت ذلك الرجل؟ أنا متأكدة أنه وسيم للغاية ولكنى أرى أنه إنسان لا يطاق، بينما أنت طفلة رقيقة طيبة القلب».

ثم أردفت بصراحة:

«إنك أطيب من أن تكونى زوجته!»

فنظرت فاى إليها وهى تبتسم وتسألها:

«هل فاجأت الجميع بشخصيتى؟»

«الكل يقولون إما أنه مجنون أو أنه مجنون بك، فأى الرأيين صحيح؟»

«ما هو رأيك أنت؟»

فراحت كليو تتفحصها وتتأمل وجهها وقامتها، ودقة عظامها، وعينيها الواسعتين الصريحتين، برغم ما يبدو فيهما من خجل، وفمها البرىء الرقيق. ربما راقت فاى للوحش الكامن داخل لو مارش، فهى إنسانة رقيقة يمكنه أن يؤثر عليها بسحره ثم يحطمها بعد ذلك، فهو على ما يبدو، تعب من تحطيم ذلك الصنف المجرّب من النساء. ثم هتفت كليو باهتمام:

«يا فاى لا تحبى هذا الرجل كثيرًا».

سألتها فاى قائلة:

«لماذا تقولين ذلك؟»

هزّت كليو كتفيها قائلة:

«أنا متأكدة أنه قاس صلب وإنى أشفق عليك فهو قادر أن يؤلمك. الرجال من نوعه يصاحبون النساء، لكنهم لا يكنون لهن عاطفة الحب بل الاحتقار».

«قد يكون ذلك صحيحًا».

وأدارت فاى نظرها نحو البحر إذ لمست شيئًا فى عينى كليو وفى صوتها جعل أصابع الخوف تعصر قلبها. ماذا تعرف كليو عن لو؟ وكيف جاء هذا القدر من الاشمئزاز الشديد إلى عينيها البنيتين؟

وشعرت فاى برغبة شديدة فى استجواب كليو عن ذلك، ولكن هذه الرغبة بعثت فيها رهبة قوية جعلتها تقفز واقفة وهى تمسك بيد إيريك وتسابقه على الرمال وتنزل معه فى البحر.

لم تكن فاى تريد أن تعرف ما تعرفه كليو عن زوجها فهربت إلى البحر كل الماضى الذى عاشه لو قبلها لا يهمها فى شىء، ففيه إيلام لقلبها، وفى ذلك الماضى تلك الفتاة التى أحبها ذات يوم.

سمعت فاى كليو تقول ذات يوم: «إنى أحمد الله على زوجى تيد»، ولم تمض أيام على ذلك حتى فوجئت فاى بدخول كليو وهى تنخرط فى البكاء المرير وتلقى بنفسها على الأريكة فجلست فاى بجانبها وهى تقول:

«ماذا بك يا كليو؟ هل حدث شىء لإيريك؟»

فردت كليو تقول بين عبراتها:

«تيد يريد الطلاق. إنى لا أصدق ذلك فلقد ظننت أنه يحبنى».

وخيل لفاى أن عبراتها تكاد تقطع قلبها، إذ أخذت يداها تتقلصان عن الوسائد الحمراء وراحت فاى تراقب كليو: كانت واثقة من حب تيد لها. فقالت لها:

«إنى آسفة، يا كليو، آسفة جدًا».

«كنت مطمئنة ولم يخطر ببالى أن تيد له علاقة بامرأة أخرى. وكنت أظن عندما يتأخر فى العودة إلى المنزل ليلاً أنه ينهى بعض أعماله كنت أصدقه عندما يقول لى ذلك. وظللنا متزوجين لمدة سبع سنوات يا فاى».

ثم جلست وأزاحت شعرها الأسود عن وجهها المبلل بالدموع وقالت لفاى:

«وهل تظنين أنك تعرفين زوجك بعد سبع سنوات؟ لا أبدًا. وهذا يدل على أنه من السهل على المرء أن يخدع إنهم وحوش. كل الرجال وحوش. وإلاّ ما كانوا يقدمون على هذا العمل.

ثم ارتفع صوتها وتهدج وقالت:

«كيف نقع فى حبهم؟ ومن يدفعنا إلى ذلك؟»

«ربما خلقنا أغبياء».

ثم أحاطت كليو بذراعيها وقالت:

«لست أدرى ما أقول لك، لا تساعد فى شىء.. اسمعى إنى ذاهبة إلى المطبخ لعمل القهوة».

هزت كليو رأسها موافقة وأخذت تكفكف دموعها بمنديل صغير مشغول بالدانتيل وقالت:

«نعم، جهزى القهوة فإنى بحاجة لها».

ولكن عندما عادت فاى بالقهوة كانت الغرفة خالية - ذهبت كليو

www.elromancia.com

وتركت الوسائد الحمراء مبعثرة على الأريكة ومنديلها ملقى على الأرض. وضعت فاى أدوات القهوة وانحنت تلتقط المنديل... مسكينة كليو... كانت سعيدة بالأمس القريب تضحك بمرح فى ذلك المطعم الصغير وتقول لفاى إن تيد يفكر فى شراء سيارة زرقاء جديدة.

ولكن فى ذلك الوقت كان تيد يفكر فى طلب الطلاق!

وبعد أيام قليلة وصلت فاى رسالة حزينة من كليو. فقد غادرت هوليوود ورجعت مع إيريك إلى منزل أهلها كتبت تقول: «مات حبى لتيد، مات الآن يا فاي، وبقى لى ابنى إيريك، وإني أحمد الله لوجوده معى».

تقلصت يدا فاى على الرسالة، وراحت تفكر، وعرفت فاى أن كليو المرحة لن تضحك ثانية.

وكان معنى رحيل كليو عن هوليوود أن تبقى فاى وحيدة، ولاحظ لو أنها تشعر بالوحدة والاكتئاب ولذلك اصطحبها معه ذات يوم إلى الاستوديو.

وهناك تسلمتها سكرتيرته بات ميرى ويذر وهى سيدة شقراء يملأ وجهها النمش وقال لها لو:

«دعى صغيرتى تشاهد العمل هنا يا بات. فهى طفلة هادئة طيبة ولا أود أن تضل طريقها هنا».

وبسرعة ربت فاى على وجهها وتركها.

فضحكت بات وشبكت ذراعها فى ذراع فاي وقالت:

«اعتبرى نفسك محظوظة جدًا يا سيدتى فمحظور على الغرباء زيارة الاستوديو ومن الواضح أن لو استخدم نفوذه مع ك. ك.

فسألت فاى بدهشة:

«من هو ك. ك.»

«إنه شخصية معروفة بين الأشخاص المرموقين باسم كارل كريستايل».

ثم ضحكت وقالت:

«هو يا حبيبتى مصدر رزقك».

فردت فاى تقول:

«هل هو رئيس لو؟»

«تمامًا».

طافت فاى لمدة ساعتين فى الاستوديو، تلك الدنيا الخيالية، مع بات مارى ويذر. وقضت الأصوات الغريبة والمناظر المثيرة على شعور الوحدة والاكتئاب الذى كانت تعانى منه.

رأت هناك شاين أردث. البطل السينمائى الجديد الذى نال صيتًا واسعًا، وهو يمثل حقبة مؤثرة من الحرب الأهلية الأمريكية، واستمتعت بسماع سيلفا كوبردين - المغنية السمراء الجميلة - الآتية من نيو أورلينز وهى تسجل لقطة من استعراض موسيقى جديد وكانت فاى تقفز لتوسع طريقًا لعربات الترولى المحملة بولحات المناظر الثقيلة.

فاصطدمت بشدة بشاب شعره أسود مجعد. وعيناه لوزيتان ضاحكتان، وسرعان ما أسندها بيديه وضحك فى وجهها وقال:

«يا إلهى!!.. إنك جميلة جدًا».

فضحكت بات لرؤية الذعر الذى بدا فى عينى فاى وجعلهما تتسعان. ثم قالت للشاب:

«جيرى.. أقدم لك زوجة رئيسى».

«لو مارش؟»

فراح يتصنع الخوف وقال:

«إن طول لو يبلغ سبعة أقدام لذلك فيحسن بى أن أبحث لنفسى عن قطعة أخرى من الحلوى!»

وضحكت عيناه اللوزيتان فى وجه فاى وقال:

«إنك ندية كزهرة الأقحوان يا صغيرتى. قولى للرئيس الكبير إننى قلت ذلك واسمى جيرى كوفمان وسوف ترينه يثور غاضبًا لذلك».

وذهب وهو يضع يديه فى جيبى سترته، فهتفت فاى تقول:

«يا إلهى!»

وردّت بات:

«إنه ماهر مثل النسناس ولكن للأسف لا مبادىء. وربما رأيناه الآن فى مشهد من فيلم «ذرة فى المدينة» الذى يقوم بتمثيله. والآن ما رأيك فى أن نطفئ ظمأنا فى الكافتيريا حيث نحتسى القهوة ونأكل الكعك؟

فردت فاى لتوها.

«كم أود ذلك»

كان مقهى الكافتيريا ممتلئًا، وتلفتت فاى تنظر بدهشة إلى الممثلين والممثلات فى ملابس التمثيل المختلفة والزينة الصارخة، وهم جالسون جماعات وأفرادًا على الموائد المجاورة ولم يبد عليهم مظهر براق، بل كانت مناظرهم غريبة وكأنهم فى حفل تنكرى.

ثم قالت فاى لبات، وهما جالستان تحتسيان القهوة وتأكلان الكعك:

«إن بعض ما أرى يزيل أوهامى».

ثم أشارت نحو شاغلى الموائد القريبة وقالت:

«فهؤلاء الأشخاص يبدون كالمهرجين».

«يا حبيبتى. هذا عبارة عن مصنع كمصنع الأثاث، فعندما ترين المسامير تدق فى الخشب والصمغ يلصق عليه تدهشين كيف تبدو قطع الأثاث رائعة فى المعارض. وهذا ما يحدث فى عالم السينما تمامًا».

ثم غمست قطعة الكعك فى القهوة، وقضمت بأسنانها البيضاء قطعة الكعك المبتلة فاستمتعت بها كثيرًا.

وألقت بات بنظرها وراء فاى فضاقت عيناها وبدت على وجهها علامات الضيق والألم. ثم قالت:

www.elromancia.com

«ها هى ثاليا فان دين الكريهة آتية إلى هنا».

وعضت فاى شفتيها فقد كانت هذه المرأة محررة زاوية الفضائح والإشاعات فى إحدى المجلات، وكانت فاى قد قابلتها مرة من قبل وشعرت نحوها للتوّ بمقت شديد.

وأحست فاى بذلك الشعور الآن، فتقلصت أصابعها بشدة على فنجان القهوة ثم قالت لبات:

«ظننت أنك ذكرت أن الضيوف غير مصرح بدخولهم الاستوديو، أليست ثاليا من الضيوف».

فردت بات تقول:

«إنها يا عزيزتى دجاجة الرئيس الحمراء الصغيرة، فعندما يشعر بالملل تحضر ثالثا كى تداعبه وترفع من روحه المعنوية».

«وهل هذا صحيح؟»

فابتسمت بات وأمسكت بقلبها وقالت:

«نعم أقسم بذلك!»

ثم سمعتا صوت كعب حذاء ثاليا يدق على الأرض من خلفهما وشمت فاى عبير عطر غريب يداعب أنفها. ووصلت ثالثا إلى المائدة. ترتدى ثوبًا يتلاءم تمامًا مع لون عينيها الخضراوين، وأخذت تبتسم بوقاحة ثم قالت:

«ها هى عروس لو الجميلة يسعدنى أن أراك ثانية».

ثم صوبت عينيها الخضراوين إلى بات التى غمست الكعكة فى القهوة بدون اكتراث وهى تقابل نظرتها الخبيثة، وقالت لهما ثاليا:

«ليس عجبًا أن تزيدى وزنًا يا بات، كيف تأكلين هذه الأشياء المقززة المليئة بالمواد النشوية».

ثم جلست برشاقة على مقعد يواجه فاى، وأخرجت علبة سجائرها وقالت:

«لن أقدم لك إحدى سجائرى فهى مصرية وقوية جدًا ولها طعم خاص».

وابتسمت وبرقت عيناها الخضراوان وهى تضع فى فمها سيجارة رفيعة يميل لونها إلى الاصفرار وتقول:

«كيف تجدين هوليوود؟ هل تحبينها؟»

«نعم.. وشكرك».

قالت ذلك وهى تتفادى رائحة السيجارة ثم رجعت ثاليا تسأل فاى:

«وهل تحبين الحياة الزوجية؟»

«نعم.. وشكرًا».

ثم رفعت فنجان القهوة وشربته بسرعة. فضحكت بات وقالت:

«إن أى فتاة تعد حمقاء وغبية إذا لم تحب الحياة الزوجية مع رجل مثل لو مارش».

فتقلصت شفتا ثاليا وقالت:

www.elromancia.com

«إنك دائمًا جافة جدًا يا بات، فهل أنت تحبين جلب الألم للناس أم هذه هي صفاتك دائمًا».

فردت بات تقول:

«لست جافة بل أمينة مع الغير».

ثم جلست متكئة على مقعدها وراحت تنظر إلى ثاليا بمرح بينما هزت ثاليا كتفيها ونثرت رماد سيجارتها وقالت لفاى:

«هل تعلمين أنك تشبهين، إلى حد كبير، صديقة لى كنت أعرفها وكان اسمها إينزهولدن؟»

صدت من بات حركة استهجان وردت تقول:

«إن فاى لا تشبه إينز مطلقًا».

فردت ثاليا:

«بل إن هناك شبهًا كبيرًا بينهما، وإن تكن فاى تبدو كالعذراء بجانب إينز».

فقالت بات بصراحة:

«كانت إينز فائقة الجمال والفتنة».

ثم ضحكت لفاى وقالت:

«بدون إحراج.. ولكن ثاليا تبالغ كثيرًا».

فردت ثاليا تقول:

«نعم، كانت إينز جميلة جدًا ولكن فاى لها ذات لونها واستدارة وجهها فسألت فاى دهشة قائلة:

«ومن هى إينزهولدن»

وكانت فاى متعجبة من الجدل بينهما ولم يهمها أبدًا أن تكون إينز أجمل منها.

فهتفت ثاليا تقول وقد اتسعت عيناها دهشة:

«ألا تعرفينها؟ ألم يشر إليها لو أمامك أبدًا؟»

فغضبت بات وقالت:

«لماذا تلزمين الصمت فيما يتعلق بإينز يا ثاليا؟»

فتجاهلت ثاليا بات وأخذت تراقب فاى وتنفث دخان سيجارتها وكانت نظرة عينيها فى تلك اللحظة جائعة قاسية كالنظرة فى عينى قط قبل أن يهجم على فأر:

«لو كان خطيبًا لإينز فى وقت ما. ألم تعرفى ذلك؟ كانت ممثلة، أعترف أنها لم تكن ممثلة قديرة، لكنها كانت جميلة جدًا، هل تعرفين أنها ماتت؟

فانفجرت بات تقول:

«لا تنبشى الماضى يا ثاليا».

«ولكن يا عزيزتى يجب أن تعرف فاى كل شىء عن إينز. أنا أكره أن تعرف القصة من أناس آخرين يدعون الصداقة».

www.elromancia.com

فردت عليها بات تقول:

«ولكنك لست صديقة، بل أنت تبثين الشر».

أخذت فاى تراقبهما وقد بدأ الخوف يدخل قلبها، قالت لثاليا ووجهها يكتسى بحمرة خفيفة:

«لا أريد أن أسمع أى شىء يسىء إلى لو... أبدًا».

«قد يكون شيئًا سيئًا أو لا يكون لكنها الحقيقة»

ثم مالت على المائدة وحدقت فى عينى فاى وقالت لها:

«ماتت هذه الفتاة وكان لو مسؤولاً عن موتها، وكأنه أمسك بمسدس ملىء بالرصاص وصوبه إلى رأسها وأطلق...»

وحدقت فاى فى ثاليا بذعر، وبقيت ساكنة فى مقعدها، وكأنها تحولت إلى تمثال من حجر وقد ملأ قلبها الشجن والخوف فجأة، ثم قالت ثاليا:

«إينز كانت جميلة كزهرة ذهبية وذات ليلة انتحرت تحت عجلات سيارة نقل، ألقت بنفسها تحتها لأن لو مارش، ذلك الوغد المتعالى طردها فجأة خارج حياته، وادعى أنها استغلته وابتزت ماله، لكنى لا أصدق ذلك بل أعرف أنها أحبته. وما كانت تستحق أن يؤلمها. فهو الذى فسخ العقد المبرم بينها وبين كارل كريستايل. وأشاع أنه لا يحتمل العمل معها».

ثم أردفت تقول:

«نعم يا عزيزتى، هذا ما فعله لو ولذلك خرجت إينز غاضبة وألقت بنفسها تحت عربة النقل، واعترف صراحة فى التحقيق أنه طردها ومع ذلك خرج من قاعة المحكمة برشاقة وكأنه خارج من مطعم يبتسم للمصورين».

ثم جلست ثاليا تحدق فى وجه فاى وتقول:

«لقد انتحرت المسكينة... تحطمت تحت عجلات عربة النقل، وبقى هو يبتسم ويبتسم».

فارتجفت فاى، ثم شعرت بيد تلمسها فنظرت لترى بات وقد قامت واتت إليها تقول:

«تعالى يا صغيرتى. دعينا نغادر هذا المكان».

فقامت فاى بدون أن تلقى نظرة أخرى على ثاليا. وشعرت أنها مخدرة. فلا يمكن أن يكون ما سمعته صحيحًا عن لو. لا يمكن أن يكون زوجها بهذه القسوة.

ونظرت فاى إلى بات وإلى وجهها العابس المضطرب وإلى فمها الواسع الذى لم يعد يبتسم ابتسامته المرحة ثم سألتها:

«هل صحيح ما قالته ثاليا؟»

وكانت فاى تتلقى كلامها بعناية، ولم تكن تنتظر من بات أن تنفى هذه الحقائق. كانت نبراتها تنطق بالحقيقة كاملة. ثم أومأت بات برأسها بتعاسة قائلة:

«كانا مخطوبين ثم فجأة فسخت تلك الخطبة وفقدت إينز عملها

ولم ينف لو أبدًا انه هو المسؤول عن ذلك»

وشعرت فاى أن قلبها يرتجف فى صدرها والألم يعتصرها وينتابها الشعور بالغثيان.

وعندما وصلتا إلى الصالة حيث يعمل لو نظرت فاى بين آلات التصوير الكبيرة ومصابيح الإضاءة لترى وجهه وقامته الطويلة، فتد وقف وسط المنظر الذى يمثل غرفة صغيرة للمراهنات، وكان يجادل مع شاب قصير القامة لم تر فاى سوى لو وحده عملاقًا. كله نشاط، يشمّر عن ساعديه السمراوين ويلمع شعره الأسود تحت ضوء المصابيح القوية.

ثم قالت بات وهى تتصنع الانشراح:

«سبق أن قلت لك إنك سوف تقابلين جيرى ثانية».

ثم ضحكت وأضافت:

«إنهما دائمًا يتجادلان. جيرى ممثل جيد ولكنه لا يحب أن يملى أحد عليه إرادته. وهما مازالا يتناقشان فى الموضوع نفسه والمنظر إياه منذ يومين ولن يهدأ لو إلا إذا مثل جيرى على طريقته. أما جيرى فقد يثير لو ويدفعه إلى القتل قبل أن يرضخ له!»

فسألت فاى بفتور:

«وهل يرضخ جيرى له؟»

«نعم سوف يرضخ أخيرًا. لأن لو يكون دائمًا على صواب فى كيفية أداء الدور. ولكن جيرى يهوى تعقيد الأمور، وخصوصًا مع لو».

فسألتها فاى بمرارة:

«وهل هو من المعجبين بلو؟»

فنظرت بات إلى فاى بدهشة، ثم غضت من نظرتها وقد آلمها اليأس القاتل الذى كان يطل من عينى فاى... مسكينة تلك الصبية، فإلى جانب النشوة التى يثيرها لو فى نفس الفتاة، هناك أيضًا الألم الذى يعتصر قلبها.

ثم التفت لو، ورأى فاى وبات تقفان على جانب من الصالة فأسرع وصرف جيرى كوفمان وذهب إليهما قائلاً:

«هل تمضيان وقتًا طيبًا؟»

هزت فاى رأسها وأمكنها الابتسام له، ودهشت كيف تتصرف بتلك السهولة وكل عصب من أعصابها متوتر ويصرخ من الألم، وينادى الدموع كى تغسل الشجن الذى يسوف كيانها. ثم قال وهو يشير إلى الفوضى التى تسود المكان كله:

«إنه مكان صاخب، أليس كذلك؟ ولا تسالينى كيف نخرج الروائع بين هذه الفوضى».

ثم ابتسم لبات وقال لها:

«سوف تسيل الدماء كذلك إذا لم يكف كوفمان بسرعة عن ثوراته العصبية المتوترة».

ولكن بات نظرت إليه مشفقة وقالت:

«اصبر يا لو، فسوف يطيعك كالعادة ويستمع إلى نصائحك».

«لابد أن يفعل ذلك».

ثم التفت إلى فاى وقال:

«سأنهى عملى بعد نصف ساعة يا حبيبتى. ونعود إلى المنزل بعد أن نمر على أوليف هادلى فإنى أريد زيارتها لبعض العمل».

«حسنًا».

ثم التفت إلى بات باهتمام قائلاً:

«وبالمناسبة. هل اتصلت تليفونيًا بوكالة إيريل بخصوص المغنية؟»

«آسفة يا لو نسيت وسأذهب لأقوم بالاتصال فورًا».

ثم أمسكت بيد فاى وقالت لها:

«تعالى معى يا حبيبتى حتى لا تبقى وحدك هنا».

فرد لو وهو يودعهما قائلاً:

«سوف أكون جاهزًا بعد ساعة بالضبط»

ثم رجع إلى الصالة بينما ذهبت فاى مع بات قاصدة مكتبها.

وبعد نصف ساعة خرجت سيارة لو من بوابة الاستوديو وقادها بسرعة فى طريق سانسيت بوليفار. وكان يتكلم معظم الوقت فلم يلاحظ أن فاى بقيت صامتة. ثم قفز برشاقة من السيارة عند وقوفها أمام مدخل هادلى هاوس الفخم، وقال لفاي وهو يمد إليها يده:

«تعالى معى»

«وهل من الضرورى وجودى معك؟»

فابتسم لها وقال وهو يجذبها خارج السيارة:

«ليس من الضرورى... ولكن الجو حار هنا فى الشمس».

ولم يترك يدها بعد ذلك فظلّ يمسك بها وهما يدخلان الباب الدائرى فى هادلى هاوس، ولذلك شعرت فاي أنها طفلة صغيرة. وتقدمت نحوها إحدى الفتيات من قسم الاستقبال فهمست تقول برجاء:

دع يدى يا لو».

ولكنه ضحك وقال للفتاة:

«الآنسة هادلى تنتظرنا».

ثم قاد فاى وترك الفتاة مندهشة ودخلا للمصعد وهو يضحك فى وجه فاى التى قالت له:

«دع يدى... فلن أهرب منك».

«ولكنى أحب أن أمسك يدك».

ولاحظت فاي أنه فى حالة مرحة سعيدة، فبدا وجهه كوجه الأطفال، ثم قال:

«إنها يد صغيرة ناعمة رقيقة حتى يمكنى تحطيمها بأصابعى».

ثم أخذ يدها وطبع قبلة على معصمها. وكانت شفتاه دافئتين.

www.elromancia.com

وبقيتا لمدة طويلة على معصمها الذى كان النبض فيه يسرع بجنون. أخذت فاى تنظر إلى رأسه المنكس على يدها. نعم يروق له أن يقبّل يدها فهو يعتبرها دمية يلهو بها، ولكنها سوف تذهب فى الطريق الذى انزلقت إليه الفتاة الأخرى التى يرن اسمها فى أذنيها كلحن جنائزى.. كانت تود أن تهتف بذلك الاسم وترى تأثيره عليه، بل كانت تود أن تصرخ وتقول له بأنها عرفت ذلك السرّ، لكنها لم تفعل بل راحت تتحمل قبلته بدون إحساس ووصل المصعد إلى الطابق المقصود، وخرجا منه ومازالت يدها الصغيرة حبيسة، ثم سارا رأسًا إلى مكتب أوليف هادلى الخاص. وكانت سرعة سيره قد أدهشت فالى فنظرت إليه متعجبة وقالت:

«لا بد أن عملك مع أوليف هادلى هام للغاية؟»

«نعم إن عملى مع أوليف أكثر من هام.»

٣ - فى سكون أبدى

جلست أوليف هادلى وراء مكتبها الفخم تكلم سكرتيرتها عندما دخل فاى ولو، فصفرت الفتاة بسرعة واستدارت عن مكتبها وتقدمت ترحب بهما. كانت أنيقة جدًا فى ثوب أسود من قطعتين يزين باقته مشبك من الماس المتلألئ. لم تكن أوليف جميلة أو منسقة التقاطيع ولكنها كانت تمتاز بطريقة ارتدائها لثيابها الرائعة، وكانت تبدو لفاى ولغيرها من النساء فى قمة الأناقة والثقة بالنفس التى يجسدها عليها الجميع.

ثم قالت لفاى:

«أهلا يا عزيزتى دعينى أهنئك بعيد ميلادك وأتمنى لك سنين طويلة مقبلة».

وفوجئت فاى.. نعم إنها تبلغ اليوم الرابعة والعشرين من عمرها وقد نسيت عيد ميلادها تمامًا ثم قالت:

«نعم - نعم - تمامًا».

فضحك لو وقال:

www.elromancia.com

«احضرتى المعطف يا أوليف. فإننى لا أصبر حتى أرى فاى ترتديه».

وفتحت أوليف الباب وسمعتها فاى تقول للفتاة الجالسة إلى المكتب فى الخارج:

«انزلى يا بولا لاحضار معطف السيدة مارش!»

فالتفتت فاى إلى لو الذى راحت عيناه تنظران إليها محدقة: وهو يراقب وجهها المتعجب ويقول:

«لا تنظرى إلىّ وكانى اشتريت حبلاً لأشنقك به.»

ولكن عندما أتت بولا بالصندوق الكبير، الذى يحتوى على المعطف، وعندما فتحته أوليف وأخرجت المعطف منه بكل بريقه وفخامته، شعرت فاى فعلاً بأن هناك قطعة من الحبل حول عنقها تكاد تخنقها.

وقفت فاى بدون حراك عندما وقف لو وراءها وراح ينظر إلى صورته فى المرآة الطويلة، ثم شعرت بيدى لو على كتفيها تتحسسان الفراء الثمين، وهمس فى أذنها يقول بلطف:

«عيد ميلاد سعيد يا عزيزتى.»

والتقت عيناهما فى المرآة فشعرت بضعف شديد، وكانت مطمئنة لامكانها الاتكاء عليه لأن يديه تسندانها، ولولاهما لسقطت على الأرض. فاليوم عرفت إلى أى مدى تردّى زوجها فى الحضيض. واليوم كذلك أتحفها لو بتلك الهدية. وهذه المفارقة المرة جعلتها تود أن تذرف الدموع التى شعرت بها تتجمع فى عينيها وهى فى الاستوديو.

ثم قالت وهى تنتقى الكلمات بعناية:

«أشكرك يا لو على هذا المعطف لأنه رائع جدًا».

ولكنه قطب جبينه لأنها شكرته بتلك الكلمات القليلة الرسمية الخالية من الحرارة. ألم تر ما صنع هذا المعطف بها؟ فوجهها استكان كالزهرة البيضاء فى باقة المعطف السخية الداكنة. أليس لديها أية عزة نفس؟ هذه الطفلة الغريبة التى أنقذها من الجو الخانق السائد فى لوريل باى؟ وانتشلها من غرف العجائز المرضى؟

وهمس:

«أردت أن أدخل على نفسك بعض البهجة.»

ثم استدارت إليه لأنها شعرت بأنها خيبت آماله فى طريقة تلقيها هديته، ولذلك أرادت أن تطمئنه، فقالت له:

«حقًا إن المعطف يروق لى كثيرًا يا لو.»

ولمست بأصابعها ذراعه وقالت:

«أنا مضطربة قليلاً. هذا كل ما فى الأمر.»

«يحق لها ذلك يا لو.»

قالت ذلك أوليف هادئى ثم أردفت تقول:

«إن أية امرأة يدير رأسها معطف مثل هذا المعطف يا لو.»

ثم راحت تراقبهما وتتأملهما بعاطفتها معتقدة أنهما زوجان مثاليان يكمل أحدهما الآخر، مع أن الكثيرين من الناس لا يتفقون معهما فى

www.elromancia.com

الرأى إذ كانوا يطلقون على فاى عبارة «التافهة الصغيرة».

كان وجه الفتاة ينم عن الحنان والشجاعة، فإذا كان عند لو ذرة من العقل كان عليه أن يتمسك بها بقوة، وسوف تعطيه كل ما يحتاج إليه البيت المريح والحب الدائم والأطفال. لم تكن فاى الفتاة العصرية التافهة التى تعتقد أن القيام بواجباتها المنزلية يولد لديها الملل أو التى تفضل العناية بقوامها على رغبة الرجل الطبيعية فى إنجاب الأطفال... كان عليه أن يعرف قيمتها جيدًا. فإذا كان يريد مجرد اللهو بها فسوف يعيش نادمًا على ذلك.

ثم رأت أوليف فاى وهى ترفع يدها وتضغط على ذراع لو، ولكن هالتها تلك النظرة المذعورة التى بدت فى عينيها... ومن غير شك لم يكن سببها إهداء لو ذلك المعطف الثمين بعد ذلك استدار لو إلى أوليف قائلاً وهو يبتسم:

«ألا تبدو فاى رائعة؟»

فهزت أوليف رأسها استحسانًا وقالت:

«أعترف أن رقة فاى تتلاءم تمامًا مع الفراء، بينما الكثيرات يجعلن هذه المعاطف مجرّد شىء ثمين.»

ارتفع الدم إلى وجه فاى خجلاً لهذا الاطراء، وعندما استدار لو ينظر إليها بإعجاب متجدد لملاحظات أوليف التى راقت له. انكمشت لهذا الإعجاب البادى بوضوح فى أغوار عينيه السوداوين والذى يدل على سروره لامتلاكه إياها. ثم انتابتها الحيرة الشديدة فقد سقط لو من عليائه ولم يعد يتبوأ تلك المكانة السامية فى قلبها. واليوم يجاوره

دائمًا شبح تلك الفتاة الطويلة الذهبية التى ماتت لأنها هى أيضًا كانت من الجنون بحيث تدلهت بحبه مثلها.

خلعت المعطف وجاءت أوليف ووضعته بعناية فى صندوقه ثم قال لو وهو يلف فاى بذراعه ويضمها إليه:

«سوف نحتفى بهذه المناسبة السعيدة الليلة. اشتريت تذكرتين لاستعراض «نفحة من السماء».»

فقالت أوليف وهى تبتسم بحماسة:

«إنه استعراض رائع يا لو. لقد حضرت العرض الليلة الماضية وكانت الموسيقى وكذلك مناظر الرقص رائعة.»

قال لو وهو يرفع وجه فاى إليه:

«حسنًا! سوف يكون هذا العرض خاتمة حسنة ليوم جميل، يا حبيبتى.»

حاولت فاى أن تنسى ما قالته لها ثاليا عن قصة انتحار إينز هولدن ولكنها لم تنجح فى ذلك. الآن كل شىء أصبح سقيمًا فى نظرها. فمثلاً عندما ترى لو يجلس مواجهًا لها على مائدة مطعم وتشاهد وجهه الأسمر الوسيم يضحك أو يتحمس فى محادثة هامة، لا «هذا الرجل الذى يلفت الأنظار هو زوجى أنا».

وعندما كان يقبلها كانت تفكر وتقول: «سبق وان قبل إينز هولدن وضمها بين ذراعيه مثلى. ولكنه تركها بعد ذلك، ولا بد أن يتركنى أنا أيضًا.

www.elmoulancia.com

وفى فترة حيرتها وتخبطها قابلت فاى جيرى كوفمان ثانية.

حدث ذلك على الشاطئ. إذ كان من عادتها أن تذهب كثيرًا إلى هناك ولو أنها كانت تتذكر بحزن تلك الأوقات السعيدة التى كانت تقضيها مع كليو وإيريك فى ذلك المكان. فجلست تفكر فى كليو وتلك المرات التى كانت تصاحب فيها إيريك إلى الشاطئ بينما كانت كليون تزور خالة لها فى باسادينا ثم يرجع معها إلى شقتها وتطعمه البطيخ وفطائر الجيلى، وتنام بجانبه على البساط حيث يشتركان معًا فى اللعب والتسالى.

وتنهدت فاى وهى تسترجع تلك الذكريات، وراحت تلعب بالرمال وتجعلها تنساب من بين أصابعها، وتنظر بكآبة إلى البحر الذى يضم المستحمين... كانت تدرك أنها وحيدة غريبة بين رواد الشاطئ المرح الصاخب بالحديث والضحك.

ثم سمعت صوتًا يقول:

«هل لى أن أجلس معك؟ فانت تبدين فى حاجة الصحبة.»

جفلت فاى وأدارت وجهها فوجدته جيرى كوفمان، وكانت خصلات شعره الأسود مبتلة لاصقة برأسه من تأثير مياه البحر، وكانت عيناه اللوزيتان المحاطتان بأهداب طويلة تبتسمان لها.

ثم ألقى بنفسه قربها على الرمال ومدد جسمه القوى الذى لفحته أشعة الشمس. ثم هتف يقول:

«يا إلهى - ما هذا اليوم! أرجو أن تفتح السماء أفواهها وتهطل الأمطار لتلطف هذا اللهيب.»

ثم اتكأ على يده وراح يسألها مبتسمًا:

«ماذا تفعلين وحدك هنا بعد ظهر يوم السبت؟»

ردت تقول وهى تبتسم بتحفظ:

«إننى دائمًا وحيدة بعد ظهر يوم السبت. إن لو يلعب الغولف»

«سوف أتذكر هذا.»

وطافت عيناه بوجهها فى حرارة وود، وقال لها:

«هل يضايقك اقتحامى وحدتك؟»

«كلا لا يضايقنى ذلك أبدًا.»

وكان هذا صحيحًا فلم يضايقها. إذ أنها تعجب به. وتعجب بالود الخالص الذى يظهر فى عينيه. ثم قال لها:

«إنك تبدين حزينة. فلم أملك نفسى وأتيت إليك، فالوحدة على الشاطىء مؤلمة.»

وابتسم، وكانت ابتسامته ودّية كشفت عن أسنان صغيرة مربعة. ثم أردف يقول بعطف:

«إن هوليوود قد تكون مكانًا يفيض بالوحدة القاتلة بالنسبة إلى الغرباء.»

فردت تقول:

«إنها تذكرنى بالغابة.»

www.elromancia.com

وكانت تتكلّم بصراحة تلقائية نتيجة للطريقة التى كان جيرى ينظر بها إليها. فبرغم أنه غريب إلاّ أنها لم تشعر بذلك، فقد كان تصرفه طبيعيًا أراحها. ونظرته صريحة واثقة نالت ثقتها به.

ثم أكملت فاى تقول:

«إن الجو فى هوليوود حار رطب، وهى مليئة بالصخب وبالمخلوقات الجميلة الخطرة.»

ثم ابتسمت فأردف قائلاً:

«أليست لديك الرغبة فى أن تمثلى بالسينما؟»

فهزت رأسها وظهرت الغمازتان فى وجنتيها مما أعطاها طابع الاستهتار الذى راق لجيرى. ثم قالت:

«لو قد يقذفنى من النافذة إذا أظهرت ميلى لأن أكون نجمة سينمائية.»

«سوف يكون هذا شيئًا قاسيًا. لماذا يفعل ذلك؟»

وراح يراقبها ويعجب بوجهها، وفمها الذى يشبه الزهرة وعنقها الذى يشبه عنق الأطفال.»

«قد يجعل التمثيل طبعى حادًا متناسبًا مع طموحى. وعلى كل حال لست على شاكلة نجوم الشاشة.»

«هذا صحيح إنك تبدين لى منطوية على نفسك.»

و«هل يعنى ذلك أننى هادئة خاملة؟»

كانت هذه نظرتها إلى نفسها طوال تلك الأسابيع التى قضتها فى هوليوود. فكل واحد حولها يمتلك موهبة أو حيوية خارقة. متدفقة أو وسامة زائدة. فالناس مازالوا ينظرون إليها بدهشة عندما يرونها مع لو ويعلمون أنها زوجته.

«فى اعتقادى أنك عنيدة، تختلفين كثيرًا عن انسياب الحياة المادية، وعن الثراء الذى يراه المرء هنا كلما تلفت حوله، فأنت تجعلين المرء يشعر بالراحة.»

إنها تجعل المرء يشعر بالراحة كالشعور بهطول المطر بعد الجفاف. وجميلة مثل عود زهرة الميموزا... وهى طفلة رقيقة خجول تثير فيه شعورًا بالعطف وأيضًا بالاشمئزاز عندما يتخيلها بين ذراعى لو القويتين، وحتى يدفع تلك الفكرة من مخيلته سألها:

«هل تسبحين؟»

«لا أسبح بمهارة.»

وبالنظر إليه تأكدت فاى أنه سباح ماهر، فجسمه قوى متناسق ككل السباحين، وعندما قفز واقفًا وجذبها معه تحرك برشاقة وسهولة ثم قال:

«تعالى نسبح. فإن هذه الرمال ساخنة كالجمر.»

وأمسك بيدها وجرى معها على الشاطئ ونزلا إلى البحر وهو يضحك كالطفل حين كانت خصلات شعره تتراقص على وجهه.

فى تلك الليلة، وهما يتناولان العشاء. أخبرت فاى زوجها أنها

أمضت بعد ظهر ذلك اليوم تسبح مع جيرى كوفمان. وكان يتملكها الفضول عن كيفية تقبله ذلك الخبر، لأنها كانت تستشف كراهية لو له. ولكنها لم تتوقع أن ترى ذلك الغضب الخاطف الذى بدا فى عينيه، إذ هتف على الفور بقوله:

«يا للشيطان! أظن أن هذا الوغد جاهد كى يفوز بالتعرف إليك!»

«هذه ليست طريقة لطيفة تتكلم بها عنه، فأنا أعتقد أنه إنسان لطيف»

«كوفمان! عندى ما أقوله عن هذا الرجل، يجعل شعرك الذهبى الجميل يقف هلعًا، والأجدر بك عدم الاحتكاك به.»

ثم نظر فى عينيها وقال لها:

«لا أطلب منك ذلك فقط ولكنى آمرك.»

فعجبت للهجته ونظرت إليه وكانت تنتظر منه أن ينهى الأمر بابتسامة ويظهر لها أنه يداعبها، ولكن عندما لم يفعل تملكها حب التحدى وقالت بطريقة صبيانية:

«قد تأمرنى أن أقفز من النافذة ولكن ليس معنى ذلك أننى مجبرة على طاعتك طاعة عمياء.»

«إذا كان الأمر يتعلق بكوفمان فالأفضل أن تقفزى من النافذة، فهى طريقة أسرع.»

«طريقة أسرع؟»

«أعنى يا صغيرتى أن كوفمان قاتل خطير»

وسكب بعض العصير فى كوبه وابتسم وهو ينظر إليها ثم قال:

«ماذا يدور فى تفكيرك: إننى لست ملاكًا منزهًا عن الخطأ؟ وهذا ما يحزننى. تعودت أن تكون لديك فكرة طيبة ومتفائلة عنى فماذا جرى أخيرًا؟»

فنظرت إلى وجهه المتسائل. وكان يرتشف العصير وعيناه تسخران منها. ثم قالت:

«لم يعد يهمنى إذا كان فى إمكانك أو عدم إمكانك أن تتحسن. فأنت باق على حالك. وإننى أقبلك على علاتك.»

فرفع حاجبيه متسائلاً:

«هذا قول مبهم يا صغيرتى. هل يمكنك تفسيره قليلاً؟ النمور لا تغيرّ جلدها».

«كنت أعتقد أن فى إمكانها أن تغيره. والآن وقد كبرت كثيرًا فقد غيرت ذلك الاعتقاد».

ثم أخذ يدقق فى وجهها ويدرس قسماته ويقول بهدوء:

«ماذا جرى يا فاى؟ ماذا فعلت؟»

وكانت الطريقة التى سأل بها هذا السؤال ذات تأثير قوى على فاى، وجعلت قلبها يعتصر ألمًا.

صدرت عنها آنة صغيرة. وقبضت على حافة المائدة بشدة، ثم قالت هامسة:

«لا تلق بالاً إلىّ فإنى صغيرة وهذا كل شىء.»

«آسف لأن اكتشافاتك عنى قد آلمتك يا فاى.»

ثم رفع كوبه وشرب ما بها مرة واحدة بينما عيناه لم تفارقا وجه فاى، وكانت هذه النظرة مازالت كفيلة بأن تجعل ركبتيها ترتعدان وذراعيها تتمنيان أن تضماه إليها. ضحك لو وقام عن المائدة واستدار نحوها وجذبها من مقعدها وقال:

«تعالى نرقص، فكل هذه الأسئلة سوف تتوه منك عندما أضمك إلىّ.»

حاولت فاى أن تبتعد عن جيرى كما نصحها لو، لكنها حيثما ذهبت على الشاطئ يلحق بها. وإذا قصدت الحديقة لتستمع إلى الفرقة الموسيقية يجىء ويتكىء على ظهر مقعدها. وفى الحفلات عندما يختفى لو ليحادث رجال السينما. يظهر جيرى إلى جانبها ويأتيها بالمشروبات أو يدعوها إلى رقصة. وكان دائمًا ودودًا وطبيعيًا ومستعدًا لتسليتها. ولذلك لم تفهم فاى السبب الذى دعا لو إلى أن يكرهه. فلم تصادف من احترمها كما فعل جيرى. حتى أثناء الرقص لا يستغل جيرى الموقف ويضمها إليها كما يفعل بعض من يرتاد مثل هذه الحفلات. كما أنه لم يرفع الكلفة بينهما أبدًا راحت فاى تظن أن لو، بخلافه الدائم مع جيرى أثناء العمل. بنى حكمًا قاسيًا غير عادل على جيرى. ظنت أن جيرى أقل خطورة من لو نفسه، ولكن برغم أن هذا الاعتقاد جعلها تشعر بعدم الولاء نحو لو. إلا أنها تمسكت به وجعلته سببًا كى تنسى أوامر لو بأن تتجنب جيرى. وتدعه جانبًا.

جيرى يروق لها، لكنها لم تشجعه على مرافقتها أبدًا. متأكدة أن السرور الذى ينتابها عندما يضحكان معًا على نادرة يحولها جيرى إلى نكتة بارعة. أو عندما يغمغمان معًا فى ركوب الأمواج على الألواح الخشبية، أو عندما يدخلان معًا إلى أحد محلات السجق ويحاول جيرى أن يجعلها تأكل السجق الحار كما يأكله.

وما لبثت فاى أن أدركت أن جيرى ملأ مكان كليو الخالى فى حياتها. وأصبح هو الصديق الذى تحتاج إليه كثيرًا. فتقبلته كصديق واثقة أنه لم يكن بالنسبة إليها أكثر من ذلك ولن يكون. ولم تلاحظ أبدًا أنه وسيم للغاية، ولم يؤثر فيها أنه واحد من أكثر النجوم شعبية فى هوليوود. فهو بالنسبة إليها مجرّد جيرى... كانت غارقة فى صداقته البريئة حتى أنها لم تلاحظ نظرات الغمز التي كانت تقابلهما فى الحفلات.

وبعد ظهر السبت اصطحبها جيرى إلى مباراة للكرة، لم تكن فاي حضرت مثلها من قبل. وبرغم أنها لم تفهم المباراة جيدًا إلاّ أنها راحت تهتف بحماسة مثل جيرى. وفى أثناء حماستها طارت من يدها قطعة الحلوى التي اشتراها لها. واستقرت على بعد صفين على ساقى مشجع الفريق الزائر.

ولما أدار الرجل رأسه، كانت فاى، تحاول أن تطيع أوامر جيرى بأن تبدو طبيعية بريئة من هذه التهمة.

أما الرجل المسكين الذى أصابته قطعة الحلوى اللزجة فقد واجه عينى فاى البريئتين الزرقاوين. وقد شاعت فيهما البراءة. فتجاوزت فاى عيناه وهما تبحثان فى الصف الخلفى عن الفاعل... وكانت فاى

تشعر باهتزاز جسم جيرى وهو يضحك بشدة وإن كان يحاول جاهدًا أن يكف عن الضحك، فهمست تقول له:

«كفّ عن الضحك، فسوف يتهمنا الرجل إذا احمّر وجهك أكثر من ذلك.»

فقال جيرى وهو يكاد ينفجر:

«كيف تتجحين فى الظهور بريئة كالملاك.»

واستمتعت فاى بهذه المباراة كما لم تستمتع بمثلها من قبل، ولما خرجا مع الجمهور الضاحك الصاخب قال لها جيرى:

«ما رأيك فى الذهاب إلى منزلى لنتناول القهوة إذا كان لديك بعض الوقت؟»

فاستجابت له فاى بحماس ولم تكن فاى قد زارت شقة جيرى من قبل. فهالتها الفوضى السائدة هناك وأدهشها جوّها البوهيمى فى غرفة الجلوس خليط من قطع الأثاث الغريبة الشكل وغير المتجانسة. وكانت نوافذها الكبير المطلة على البحر تشبه نوافذ أتيليهات الرسامين، ووجدت حاملاً للرسم موضوعًا بجانب إحدى النوافذ قرب الضوء.

قالت له وهى تنظر إلى الحامل بفضول:

«هل ترسم يا جيرى؟»

فهزّ كتفيه وابتسم يقول:

«دعينى أقول إنها مجرّد محاولة فقط هل تحبين رؤية اللوحة؟»

ثم ذهب إلى الحامل ونزع قماش الغطاء، فاتسعت عيناها دهشة لأنها وجدت صورتها!

وكانت اللوحة تمثلها جالسة على سور أبيض تحته مجموعة من الأزهار الأرجوانية، وقد أراحت يدها اليمنى على الأزهار بينما تمرّت قدماها وهما تتدلّيان عن السور، واسترخى رأسها إلى الوراء وهى تضحك بمرح وعدم مبالاة وسألها جيرى بهدوء:

«ما رأيك؟»

«إنها صورتى ولكنها ليست شخصيتى أبدًا.»

«ربما كانت كما أراك أنا.»

«إنها تشبه الفجر.»

والتفتت إلى الصورة ثانية فرأت الألوان فاقعة بجرأة، فقد جعل جيرى شعرها يأخذ لونًا أغمق. وجعل فمها يبدو أكثر جرأة منه فى الواقع. ووضع حول يدها اليسرى سلسلة ذهبية رقيقة لكنه جردها من خاتم الزواج. وسمعت جيرى يقول وهو يحدّق فى الصورة:

«العينان ليستا كما يجب. فقد لاحظت ذلك من قبل. والآن وأنت بجانب الصورة، أقدر أن أميز مكان الخطأ. إن عينيك تتكمشان عندما تضحكين ولكنى رسمتهما واسعتين.»

ثم التفت إليها باهتمام وقال:

هل تجلسين أمامى لمدة خمس عشر دقيقة كى أصلح هاتين العينين.»

فضحكت فاى. واحمر وجهها. وقالت:

«اجعلها خمس عشرة دقيقة فط يا جيرى. فإن لو سوف يصطحبنى لزيارة رئيسه هذا المساء، ولن أجرؤ على التأخر.»

«رئيسه ك. ك.؟»

وصفّر جيرى ثم أردف يقول:

«هل ستذهبان الليلة إلى منزله؟»

فهزت رأسها وقالت:

«نحن مدعوان للعشاء. هل هو مخيف للغاية يا جيرى؟»

فابتسم جيرى ثم قال:

«ترى هل ستكون صديقتنا ثاليا موجودة؟»

«تحت سقف واحد مع زوجته؟»

فضحك جيرى وهو يقول:

«ك. ك. رجل طاغية حتى أن زوجته لا تظهر ضيقها من حضور ثاليا إلى العشاء ولسوف تدهشك زوجته. إنها شقراء رائعة فى نحو الخمسين من عمرها بدينة الجسم، وتعشق زوجها المنحرف، وإنى أدهش كيف يعجب بكلبة مثل ثاليا فى حين لديه زوجة مثل ماجدة؟»

فقالت فاى:

«اسمها ماجدة؟ هل هي أجنبية؟»

«أعتقد أنها من البلقان وأظنه هو كذلك من هناك. وإن كان كل شيء متعلق بـ ك. ك. يبدو مبهمًا. وبعض ما يقول يحتاج إلى مفتاح كى يفتح لك المعنى، إنه يتكلم كأنه يهذى، وإذا لم تعرفيه معرفة وثيقة ولمدة طويلة لن تفهمى ما يقول.

فبدا على فاى القلق وقالت:

«لا بد أنى سوف أخطئ وأرد عليه ردودًا سخيفة.»

كانت الساعة تجاوزت السادسة والنصف عندما وصلت فاى إلى المنزل فسمعها لو وهو فى الحمام فاطل برأسه وسألها أين كانت وقال لها:

«تأخرت كثيرًا».

فخلعت معطفها وقالت له، وهى تدير رأسها وتخفى وجهها عنه حتى لا يرى احمرار وجهها وهى تكذب عليه:

«ذهبت إلى السينما.»

«إذن كونى جاهزة يا عزيزتى لأن موعدنا مع كريستابل هو السابعة والنصف.»

ثم أغلق باب الحمام عليه، وراحت فاى تنظر فى المرآة وتفكر.. إنها ليست المرة الأولى التى كذبت على لو، فكلما كثرت مقابلاتها لجيرى ازداد كذبها. خافت مما سوف يحدث عندما يكتشف زوجها علاقتها مع جيرى، لكنها صممت على الاستمرار في صداقتها له. لماذا لا تتخذه صديقًا؟ إن صحبته تريحها لاتزانه وجاذبيته. فهو يبث فيها

www.elromancia.com

الهدوء ويوقظ فيها حب العودة إلى الطفولة. ولكن إلى طفولة سعيدة تختلف عن الواقع.

ولما خرج لو من الحمام قال لها، وهو يجفّف شعره المبتل وينظر إليها بقلق:

«أسرعى إلى الحمام يا حبيبتى، فقد ملأت لك البانيو. إذ ليس لدينا وقت نضيعه، وقد وضعت لك ملء حفنتين من أملاح الحمام المطرة بالبنفسج فهل هذا يكفى؟»

فابتسمت له وقالت:

«إن حفنتين من حجم يدك كافيتان جدًا.»

وفى طريقها إلى الحمام مدّت يدها ومرّت بها على ظهره. فعندما يبدو كالصبى نظيفًا بعد استحمامه. ويلمع جلده الأسمر وتموج عضلات ظهره وذراعيه بالصحة. لا يبدو أن فى إمكانه ارتكاب أى شىء خطير. وكان مثل رمز أسطورى أسمر طالع من نبع عميق نظيف كله سحر. وهو يلمع من فرط النظافة... وكانت تعتقد فى مثل هذه اللحظات أن كل ما يقال عنه من سوء يكمن أساسًا فى نفوس قائليه وعقولهم، وكان من الكفر فى هذه الحالة أن تعتقد أنه قد تسبب فى القضاء على فتاة جميلة.

أتم لو ارتداء ملابسه قبلها وراح يستعجلها وهى ترتدى ثوبها، كان يريد أن ترتدى فاى ثوبًا جميلا فى أول زيارة لها إلى آل كريستايل. فطلب من أوليف هادئا أن تفكر فى ثوب خارق يصلح لفاى فقط ولكن فاى كانت تعتقد سرًا. أنها آخر شخص فى العالم يمكنه ارتداء مثل

ذلك الثوب، وهو من الحرير الطبيعى، يضيق إلى الردفين ولونه بنفسجى رقيق. وبعد الردفين يأخذ لونًا بنفسجيًا غامقًا. بينما ينسدل فى اتساع مثل أوراق الأزهار فى طرفها خرز صغير براق. وكان الثوب، والحق يقال. جميلاً يجمع بين البراءة والغرابة. ولكن فاى لما نظرت إلي نفسها فى المرآة. شعرت بالنفور.

أمسك لو بذراعيها وقال لها:

«ماذا هناك؟»

«أشعر أننى عارية.»

فضحك لو عاليًا. وراح ينظر إلى تأثير الثوب عليها بسرور وقال متحمسًا:

«تبدين كالصورة الجميلة، بل كالبراءة الناصعة وهى تعربد. أوليف أتحفتك بشىء ثمين. وسوف تديرين الرؤوس هذه الليلة يا»

جذبها إليه، لكنها بقيت جامدة وبان عليها الخجل. ثم قالت له:

«لا تشغلنى عن ارتداء ملابسى.»

فضحك وتركها، ثم ذهب إلى غرفة الجلوس. فراحت فاى تنظر إلى خيالها فى المرآة بدون حماس وسألت نفسها: هل تلون عينيها .حتى تلائم ذلك الثوب الذى يشبه أثواب الممثلات؟ وهل تعمل ما فى وسعها كى تؤثر على كريستايل وزوجته؟ فمن الطبيعى أن لو كان فى نيته أن يجعل فاى تبهرهما.

وجلست فاى أمام المرآة وفتحت صندوق أدوات الزينة الكبير الذى

أهداه إليها لو والذى نادرًا ما كانت تستعمله، وأخرجت منه دهان الأهداب وعلبة الظلال البنفسجية اللون وراحت تلوّن عينيها بعناية، ثم تنظر إلى البريق الذى ظهر فيهما فى شىء من التعجب.

ولما رجع لو إلى الغرفة استدارت إليه باسمة وأهدابها ترمش، وانتظرت أن يبدى حكمه على شكلها فراح ينظر إليها ثم قالت له:

«لقد أضفت شيئًا جديدًا على مظهر العريدة يا لو!»

«هذا واضح. فهل تشعرين الآن أنك مبتهجة؟»

ألبسها عقدًا من الماس. التصق بخدها الناصع البياض. وراح يلمع بضوء باهر. ثم أضاف على ذلك حلقًا من الماس يضاهي العقد.

وبدت عيناها فى زرقة قاتمة أهدابها المسكوبة بالدهان. كما كانت الظلال تكسو جفنيها. وراحت تنظر إلى عينيه السوداوين الضاحكتين. وتقول وقد ارتعش صوتها فجأة:

«لماذا تتحفنى دائمًا بالهدايا؟ أنا لا أريد هدايا دائمًا.»

«ربما كان هذا هو سبب تقديم الهدايا إليك.»

ثم ذهب إلى دولاب الملابس وأخرج منه معطف المنك. وساعدها على ارتدائه. ثم جذب الياقة وحول وجهها. وراح ينظر إليها بإمعان. فقالت له:

«هل أبدو غالية الثمن كما تريد؟»

«غالية الثمن؟ أكثر من ذلك بكثير يا عزيزتى، ولكن الكلمة المعبرة عن ذلك تخونتى.»

ثم وقفت ساكتة بين يديه، وهداياه المناسبة تلمع فى عنقها وفى أذنيها. وابتسامة حزينة تبدو على فمها الجميل وهى تقول:

«إنى أشبه البطة المعدة للأكل. والموضوعة على طبق ليقدم إلى آل كريستابل»

فضحك لو عاليًا وقال:

«وهو كذلك! تعالى يا صغيرتى فإن ك. ك. لديه عقدة اسمها المحافظة على المواعيد.»

ولكن قدر لهما أن يتأخرا عن ذلك العشاء. ففى الطريق إليه فرغ الوقود من السيارة. فقصد لو إحدى المحطات كى يزودّ السيارة به.

ولم تكن هى المرة الأولى التى يقصدان فيها تلك المحطة. وبينما كان لو منهمكًا فى ملء السيارة تلفتت فاى حولها تبحث عن الكلب الكبير الأليف الذى اعتادت أن تراه هناك وتداعبه دائمًا. وعندما راته واقفًا عند عتبة المنزل المجاور. أخذت تصفر له كى يلتفت إليها. فعرفها على الفور ثم تقدّم نحوها يهز زيله بفرح. وفى هذه اللحظة كانت سيارة كبيرة تدخل المحطة. وهنا اختلطت صيحة فاى الهالعة بصيحة الفزع التى أطلقها الكلب عندما دهمته عجلات السيارة وألقته أمام مدخل المحطة.

أسرعت فاى إلى الكلب الذى كان يئن وركعت بجانبه وأخذت رأسه على ركبتيها ولم تابه بالدم الذى تدفق من أنفه ولطخ ثوبها البنفسجى وجانبًا من معطفها الثمين. وفى لحظة كان لو يمسك بكتفيها ويقول:

«احترسى يا فاى. فإذا لمست مكان إصابة الكلب سوف يستدير

www.elromancia.com

إليك وينهشك.»

فتجاهلت فاى ذلك وانحنت على الكلب وانسابت دموعها لصوت أنينه وارتجافه، ولكن لو جذبها بعيدًا عن الكلب وهو يقول:

«ابقى هنا والزمى الصمت، وإذا تدخلت مرة ثانية فسوف أصفعك.»

وركع لو بجانب الكلب ورأته فاى يمر بيديه السمراوين القويتين على ظهر الحيوان المتألم برقة، وبرغم ذلك صاح الكلب متألمًا ودارت عيناه وبرزت أسنانه وهو يحاول أن ينهش اليد التى لمست موضع الألم.

ثم نظر لو إلى الرجل والمرأة الواقفين بجانب فاى. فالمرأة خرجت من المنزل بسرعة وساعداها مشمرتان كانت شاحبة اللون ملتاعة وهي تقول:

«هل هو فى خطر؟ هل هو فى خطر؟»

ويبدو أن الرجل كان زوجها. فأمسك بذراعها بينما هز لو رأسه ورد عليها يقول:

«إنه يتألم بشدة، ويجب أن نقضى عليه.»

صاحت المرأة محتجة، فالتفت الرجل إليها وقال لها هامسا:

«إنه على حق ألا ترين؟»

ثم التفت إلى لو وقال:

«هل أحضر شيئًا.»

فهز لو رأسه بالرفض، وانحنى على الكلب بينما أخذت فاى ترتجف بشدة عندما سمعت صوتًا كصوت الفرقعة من جهة الكلب ثم رأته يروح فى سكون أبدى.

لكن فاى تقهقرت عنه ودخلت وسط زحام المشاهدين الذين تجمعوا. وغامت عيناها بالدموع وهى تقول بدون وعى:

«إنى آسفة... إنى آسفة...»

وكل ما فكرت فيه هو أن صفرتها للكلب المحبوب قادته تحت عجلات السيارة. وأن لو أجهز عليه فأماته سريعًا.

وفجأة تركت المكان وجرت مارية نحو الشارع.

www.elromancia.com

٤ - لعبة بين يديه

عندما هربت فاى كانت تعثّر بحذائها ذو الكعب العالى الرفيع. وتمسك ذيل ثوبها الملطخ بالدماء... كانت تريد الهرب من منظر يدى لو وهما تتقوسان كى تقضيا على الكلب. ولكنه لحق بها وأمسكها وقال لها:

«قفى أيتها المجنونة؟»

أخذت تقاومه بشدة، وكرهته وكرهت غلظته وقتله الكلب بدون أن يظهر على وجهه أى شعور. وكرهت كذلك يديه ثم قال لها:

«اسمعى. ذلك الكلب المسكين كان يتألم، وفعلت ما كان سيفعله الطبيب البيطرى، إذ لم يكن بوسعه أن يسعفه، لك أن تكفى عن التصرف كالأطفال، والآن اجمعى شتات نفسك فسوف نتأخر عن الوصول إلى منزل كريستابل.»

«ولكنى لست راغبة فى الذهاب إليهم.»

«أنت تثيريننى أحيانًا لدرجة الجنون».

ثم أدارها وجذبها معه نحو السيارة فقالت:

«إنى ملطخة بالدماء، فقد نزف الكلب المسكين دماءه علىّ.»

ولما وصلا إلى السيارة وقفت بجانب أنوارها !لكاشفة، وأرته ثوبها وقد كسته الدماء وأتلفته بقع الزيت الذى ركعت فوقه.. فى تلك اللحظة كست وجه لو مشاعر مختلفة منها نفاد الصبر والغضب وسألها:

«لماذا أخذت فى ضم هذا الحيوان؟ تجاوزت الحدود يا فاى، والآن يجب أن نرجع إلى المنزل لتبدلى ثوبك. ادخلى السيارة.»

ولما رجعا إلى المنزل تبعته إلى غرفة الجلوس وتعلقت بذراعه متوسلة وهى تقول:

«لا تجبرنى على الذهاب معك. أرجوك يا لو. فلن يهتم أحد إذا لم أذهب.»

«ولكنه يهمنى أنا دعينى أساعدك.»

ثم جذبها إلى غرفة النوم وخلع معطفها وألقاه على أحد المقاعد بإهمال وقال:

«لا تضيعى الوقت.»

ثم ذهب إلى الخزانة واختار لها ثوبًا جميلاً فيروزى اللون وتقلصت شفتا لو وهو يقول لها:

«ك. ك. ليس بالرجل الذى يقدم دعوات العشاء إلى ضيوفه كل يوم، ولن أذهب الليلة بدونك، فهو يريد التعرف إليك. وزوجته ماجدة كذلك. والآن أزيلى ذلك اللون من عينيك فهو يسيل، ولا تنظرى إلى

www.elromancia.com

وكانى ارتكبت جريمة قتل.»

وبدا منزل كريستابل كالمنازل التى تظهر فى قصص الحرب الأهلية الأمريكية... وزال شعورها بالقلق والتوتر لتأخرهما بمجرد أن قدمها لو لذلك الرجل القصير المتكوّر ذى الصلعة اللامعة والوجه اللامع والعينين السوداوين اللامعتين. لكن لم يبد عليه أنه صاحب القوى الخارقة فى الاستوديوهات حيث يعمل لو. أما ماجدة فكانت، كما وصفها جيرى. شقراء رائعة. بدينة الجسم فى أوائل الخمسين من عمرها. ترتدى ثوبًا أسود وتتلألأ الماسات فى تموجات شعرها الذهبى وفى ذراعيها المكتنزتين وبكل بساطة غفرت لهما تأخرهما وهى تضحك وتقول للو فى صوت عال:

«الوصول المتأخر أرحم من عدم مجيئكما بالمرة.»

ثم أدارت وجهها إلى فاى وقالت وهى تقرص وجنتها بيدها البضة المزينة بالخواتم:

«كيف تسبب ذلك الفتى الردئ فى هذا التأخير؟ هل كان مشغولاً بتقبيلك؟»

احمر وجه فاى خجلاً. فغمزت ماجدة إلى لو قائلة:

«الشباب لا يدوم طويلاً.»

ثم أدارت رأسها إلى فاى وأشارت بيدها التى تتلألأ بالمجوهرات نحو نفسها وقالت:

«سوف تبدو فى يوم من الأيام. فماذا تفعل حينئذ أيها الصبى

الكبير؟»

تشبثت فاى بصداقة جيرى بشدة، وتمسكت به تمسكها بطوق النجاة، الذى إذا لم تقبض عليه فستغرق وتضيع فى هذه الدنيا الغريبة، التى دخلتها من أجل حب رجل لا يحبها.

وكانت من السذاجة بحيث لم تفطن إلى اللغو الدائر حولهما، والذى وصل إلى أذن لو فجأة أثناء إحدى حفلات أوليف هادلى.

وكان جيرى قد رقص مع فاى فى الشرفة ثم أخذا يطلان على أنوار المدينة ويعجبان بها وحينئذ قال جيرى:

«ما رأيك فى النزهة بالسيارة الآن يا فاى؟»

«لا أجرؤ على ذلك.»

ولكن الحفل كان صاخبًا، ودخان السجائر يملأ الغرف، صفاء الجو يغرى بالقبول. وأضاف جيرى:

«لو لن يفتقدك فهو منهمك فى لعب الورق.»

«كم يستغرق غيابنا؟»

«لن يتعدى نصف الساعة. تحررى من حياتك الزوجية لمرة واحدة فالكل يشيد بإخلاصك لزوجك.»

احمرّ وجهها وقالت:

«تقصد أن الكل يسخر منى لأن لو يتركنى فى ركن منعزل بينما يلعب الورق.»

«ممكن جدًا.»

وخرجت فاى مع جيرى وغابا أكثر من نصف الساعة بكثير. وكانت سيارة جيرى الكاديلاك تطوى الأميال بهدوء ويسر. واستمتعا بهواء الليل العليل ونجومه اللامعة ولم يتنبها إلى مرور الوقت. واتخذا طريق البحر. وأخذا الهواء يحمل لهما رائحة المالحة بينما سبح القمر عاليًا مضيئًا فوق البحر القاتم. وأخذ راديو السيارة يبث الموسيقى الرقيقة الحالمة. الدنيا بدت خيالية وجعلت فاى تتحرر من الهموم والمتاعب وقال لها جيرى:

وهكذا بقيا يتحدثان لمدة ساعتين مرتا كالبرق. ثم رجعا بعد أن انصرف جميع المدعوين ماعدا لو... فوجداه جالسًا أمام البيانو وأصبعه ينقر عليه، أما أوليف فجلست أمام المدفأة. وكان قلب فاى يدق هلعًا وهى واقفة بالباب بجانب جيرى. وبرغم أن نزهة فاى مع جيرى كانت بريئة تمامًا إلا أن وضع لو بكتفيه العريضتين والطريقة التى كان يدخن بها سيجاره جعلا فاى تشعر بالذنب والخوف.

ثم قام لو بتراخ وسألها وهو ينظر إلى شعرها المنساب:

«هل أنت مستعدة الآن للذهاب إلى المنزل؟»

فتدخل جيرى يقول:

«اسمع يا لو. لا تظن بنا الظنون. فقد قمنا بنزهة فى السيارة.»

«أية ظنون يا ترى؟»

ثم التفت لو إلى أوليف:

«سوف نراك قريبًا.»

ثم قبض على ذراع فاى وقادها برفق من الغرفة.

ولم ينبس لو بكلمة وهما فى السيارة. ولكن فاى كانت خائفة من تصرّفه هذا. وتخيلت كيف واجه لو نظرات الشماتة عندما كفّ عن لعب الورق. وجاء يبحث عنها فلم يجدها فى ركنها المنعزل. ولابد أن أحدهم تهكم وهو يبتسم سعيدًا ويقول للو المتعجرف المتعالى: يا عزيزى. تسلّلت فاى مع جيرى منذ ساعات طويلة... مع جيرى الذى يمقته.

وأقلهما المصعد إلى الطابق العلوى من المنزل فارتجفت فاى، وبرغم أنها كانت ليلة دافئة إلا أنها كانت تشعر ببرودة فى الداخل والخارج. وفتح لو باب الشقة ولكن فاى لم تتحمّل الصمت القائم بينهما فقالت:

«قل لى يا لو، ماذا تظن بى؟»

فلم يرد. وبدت فاى فى هذه اللحظة جميلة رائعة ثم قالت:

«إذا كنت تريد المشاجرة لأنى ذهبت مع جيرى فى نزهة بريئة دعنا نتشاجر ثم نفض الخلاف.»

فرد لو يقول:

«نزهة بريئة؟ وهل كانت حقيقة نزهة بريئة؟»

فبرقت عيناها وقالت:

«إذا كنت تعنى أنها غير ذلك. فأنت مخطئ وتقذفنى بالإثم.»

www.elromancia.com

«كنت مع رجل مثل جيرى كوفمان لمدة ساعتين... وأصدق أنها نزهة بريئة!»

«تجولنا فى السيارة ولم نتكلم كثيرًا.»

«أصدق أنكما لم تتكلما كثيرًا.»

وفجأة اجتاح فاى الغضب. ألا يثق فيها؟

ولما أوقدت المصباح الجانبى رأت نفسها فى المرآة شاحبة ترتجف وشاهدت لو يقف فى الباب ويقول:

«كنت أصدقك إذا كان الشخص الذى معك غير كوفمان، ولكنى لا أصدق أنه كان شريفًا لمدة ساعتين كاملتين. إنه ليس بالرجل النبيل الذى يسيطر على تصرفاته.»

«لا تصدق! لا أقبل أن تتهمنى بجرم لم أرتكبه!»

«ولماذا كل هذه الحماسة إذا كنت تقولين الحق؟»

وتملّك الغضب فاى فاطاح بكل شىء وقالت له:

«أنت لا يحق لك اتهامى أو اتهام جيرى. فأنت ذلك الوغد الحقير الذى دفع بإينز هولدن إلى حتفها.»

وخطا لو نحوها فى سرعة .خاطفة وأمسك كتفيها وسألها:

«من قال لك هذا؟»

«ثاليا فاندين منذ أسابيع.»

«وهل صدقتها؟»

«هذه هى الحقيقة، أليس كذلك؟ أقرت بات بهذه الحقيقة أيضًا. وأشارت ثاليا إلى أنك أسأت معاملة تلك الفتاة وأنك صرحت أثناء التحقيق بأنك طردتها.»

«إذن فحكمك علىّ الآن أننى وغد حقير؟»

«نعم يا لو! هذا هو حكمى عليك!»

كانت فاى تود أن تؤلمه ثم سمعته يقول:

«وماذا إذا أنكرت قصة ثاليا؟»

«ستضيّع وقتك. إذ لم أعد تلك الفتاة الساذجة التى أتيت بها إلى هوليوود. فلن تخدعنى مرة ثانية لأنى أعرفك جيدًا.»

أخذ ينظر إليها لبرهة ثم جمع ملابس نومه وقال:

«سأنام فى الغرفة الأخرى هذه الليلة. لا بد أنك تفضلين ذلك.»

شعرت فاى بالتماسة. لأن لو لن يغفر لها جهرها له بالحقيقة أو معرفتها إياها. فقدت ظهرت الدهشة فى عينيه عندما نطقت باسم تلك الفتاة. ولكن كان لابد له أن يدرك أنها سوف تعرف القصة عاجلاً أو آجلاً، وخصوصًا فى هذه المدينة المملوءة بالشائعات. فإذا لم تسمعها من ثاليا فهناك غيرها...

وانتابها الندم لأنها لامت لو لمعاملته لإينز وراحت تتساءل كيف يعاملها فى الصباح... هل يغفر لها؟ أم يطردها من حياته؟.

وكان نومها مضطربًا فشعرت بالوحدة وافتقدت ذراعى لو القويتين

www.elromancia.com

حولها. ولما استيقظت كان الوقت مبكرًا. ولكنها هبت واقفة من نومها تتخلله الأحلام المزعجة. وقصدت المطبخ لتعد الإفطار.

وحملت الطعام إلى غرفة الجلوس حيث جلس لو يقرأ الصحف، فلم يرفع رأسه عندما وضعت فاى طبق البيض أمامه. لماذا يلزم الصمت؟ وراح يأكل طعامه ويشرب القهوة ثم أخذ يعاود قراءة الجريدة.

وشعرت فاى بالحزن وبالتعاسة. فأزاحت طعامها جانبًا بدون أن تلمسه، وكانت فى طريقها إلى المطبخ عندما قال لها لو:

«لا تنسى أننا سوف نحضر الليلة افتتاح فيلم بيل.»

«هل تريدينى أن أذهب معك؟»

ثم شعرت فجأة أنه وراءها وأنه يديرها حتى تواجهه ويقول:

«ليس لدى النية أن أسلب بيل سعادته بسبب تشاجرنا، فالرجل المسكين كان مريضًا هذه الأسابيع الأخيرة. والليلة لها أهميتها لديه.

«حسنًا يا لو.»

ثم خرج من الغرفة وأغلق الباب بشدة. وبعد دقيقة سمعته يغادر الشقة.

كان مدخل السينما، حيث يعرض فيلم بيل سيمنز وعنوانه «قمر الصيّاد». يموج بالحاضرين، وتتلألأ فيه المجوهرات الثمينة تحت أنوار النيون وأضواء عدسات التصوير. وتمتزج العطور برائحة السجائر.

ودهشت فاى وهى تدخل دار السينما مع لو وبيل سيمنز لهذا الحشد بضجيجه وبريقهم وعطورهم. وكانت فاى لا تحب هذه الاحتفالات وخصوصًا هذا العرض الذى كان يصعب عليها أن تبقى حتى نهايته. وقفت متوترة بين لو وبيل تحس بالعيون الفضولية ترمق شعرها بإعجاب وقد صففته لدى أوليف هادلى على الطريقة الإغريقية. وتعجب كذلك بدثارها من القطيفة النبيذية، وكانت فاى تود أن تجرى هاربة إلى الظلمة فى الخارج. فالكل هنا لا يتقبلها. كما لا يتقبلها لو نفسه. وفجأة قبضت يد بيل على يدها وهمس يقول:

«تخيلى نفسك فى حديقة الحيوان وأن الحاضرين مجرّد حيوانات تستعرض نفسها أمامك. انظرى هذه النمرة ذات الثوب الليمونى وفراء السمور الثمين. إنها تبدو كأنها لم تتناول عشاءها. وهذه الببغاء فى ثوبها الأخضر الزمردى، وهذا السنجاب اللذيذ بأنفه المرفوع وعينيه المستديرتين»!

فضحكت فاى ونظرت إلى بيل شاكرة، وكان يبدو على وجهه الإرهاق والتعب. فاعتصر الحزن قلبها وسألته قائلة:

«هل أنت بخير يا بيل؟»

«نعم.»

كانت قصة الفيلم مثيرة ذات إخراج بديع وتمثيل بارع، وبذا كانت قادرة على الاستيلاء على حواس فاى كلها. لولا أن عقلها كان مشتتًا لحالة بيل إذ كانت عيناه تبرقان وعندما التفت إليها ليحدثها مرة مست يده ذراعها عفوًا فشعرت بسخونتها وجفافها. وراحت تراقبه

خلسة، فلما ترك مقعده فى منتصف الفيلم مالت على لو وقالت له هامسة:

«لا أظن أن بيل بخير. لقد خرج لتوه.»

فتبعاه ووجداه جالسًا على أحد المقاعد فى المدخل وهو يجاهد كى يتنفس، فخرج لو مسرعًا كى يحضر سيارة، فقابله الجمهور الذى جاء كى يشاهد نجوم الشاشة وهم يدخلون ذلك العرض. وراحت النظرات تلاحقه ولكنه لم يشعر بأحد إذ استحوذ عليه منظر بيل وهو مستند على فاى فى شبه غيبوبة. ولما ركبا السيارة قال بيل معتذرًا:

«آسف جدًا .. كان يجب ألاّ نتركا الفيلم.»

فرد لو يقول:

«ليذهب الفيلم إلى الجحيم!»

وراح يراقبه فوجد العرق يكسو وجهه، وفتحتى أنفه بيضاوين كالشمع متوترتين من الألم. ولما وصلا إلى شقة بيل اتصل لو بطبيبه ولكن بيل احتج يقول:

«إنك تبالغ فى الأمور، فإننى أعانى من هذه الأزمات كثيرًا، ولكنها تمر بسلام.»

أخذت فاى تحلّ بعناية ربطة عنقه، فابتسم ابتسامة واهية، ثم سألته:

«أين الدواء؟»

«فى خزانة الدواء الخاصة على الرف العلوى فى الحمام.»

فهرعت إلى الحمام. وبينما كانت تمد يدها إلى الرفّ العلوى، انتابها حالة دوار مخيف. فاتكأت على الحائط وراحت تتنفس بعمق وببطء وتغالب ضعفها بكل ما بقى لديها من قوة، ومرت بضع دقائق قبل أن تفيق وتشعر ببرودة الحائط تحت يديها، وبسرعة دقات قلبها. وقفت كتمثال من متجمد فقد أصبح الشك الذى كان يراودها منذ أسبوعين حقيقة واضحة. إذ أنها تنتظر مولودًا. ولما رجعت بالدواء إلى بيل كانت شاحبة لكنها متماسكة، فأخذت تعنى به وتزيح شعره الأشقر عن وجهه المبتل بالعرق وسألته:

«هل تشعر بتسحن الآن؟»

فأجابها قائلاً:

«نعم، إن لك يدين باردتين مريحتين. وفى المثل يقولون: اليد الباردة تصاحب القلب الدافئ لو رجل محظوظ فهل هو يقدر ذلك؟»

ارتفع الدم إلى وجهها، وكان لو مستريحًا وكانت وسامته والصحة البادية عليه ولونه الأسمر على النقيض من مظهر بيل، الذى أحالته الحمى إلى شىء واهن. ثم ابتسم بيل وقال:

«إنك بادى الصحة يا لو حتى أشعر بجانبك كأنى فأر عجوز ضعيف البنية.»

«الله له أحكام لا نفهمها، يضع الألم والمرض فى بدنك ويجعلنى مليئًا بالصحة. ليتنى أقدر أن أهبك حياتى.»

«هراء يا لو. إنى لا أشعر بالمرارة وأنت لا يجب أن تشعر بها.»

«تقول مرارة؟ إنى ألعن الحظ العاثر لما فعله بك. فالحياة تصبح كريهة عندما تخلو من كل شىء طيب.»

«هذه فلسفة قاسية يا لو. فبعضنا طيب والبعض سىء وبعضنا ضعيف والآخر قوى. والله يختار من كل هذه الأنواع. وإنى لا أقبل مناقشة حكمته. بل أبارك قوتك يا لو وأشكر الله لكل هذه السعادة التى تدخل حياتك. فتتحمل المصاعب إذا صادفتك.»

وعندما وصل الطبيب نصح لو فاى أن ترجع إلى المنزل قائلاً:

«يبدو عليك الإرهاق. وسأبقى أنا هنا حتى يتحسن بيل قليلاً. هل لديك نقود كافية للعودة فى تاكسى..؟»

«نعم يا لو.»

مشت فاى إلى الناصية لتجد سيارة، وفجأة رأت الكاديلاك تقف أمامها. ووجه جيرى كوفمان الباسم الذى يشبه وجه الصبى يطالعها ويقول لها:

«هاللو يا صغيرتى. تعالى أوصلك إلى المنزل؟»

فنظرت فاى إليه بعدم ارتياح. فبالأمس القريب كان جيرى أعزّ صديق لها ولكن الآن وقد فسرّ لو هذه الصداقة تفسيرًا أحالها إلى متهمة، لم تعد ترضى عن تلك الصداقة. ثم سمعته يقول:

«لدينا اليوم ما نناقشه.»

«كيف عرفت أننى هنا؟»

«حضرت حفل الافتتاح. وإذ رأيتك تغادرين المكان مع لو وبيل تبعتكم وانتظرت هنا كى أحظى برؤيتك.»

«لا أجرؤ أن أركب معك يا جيرى.»

فغابت الابتسامة من وجهه وقال:

«هل ضايقك لو أيضًا يا فاى؟»

«ماذا تعنى؟»

«طردنى اليوم من تمثيل فيلم ذرة فى المدينة.»

«لا تقل هذا يا جيرى.»

«والآن هل تريدين الركوب معى؟»

هزت له رأسها بالموافقة فمد يده ثم جذبها إلى السيارة بجانبه وقال:

«فكرت أن أتجنبك يا فاى ولكن عندما رأيتك اليوم فى العرض الأول انهارت كل قراراتى تجاهك فأنا أحبك يا صغيرتى منذ أسابيع.»

راحت تنظر إليه بألم. ولم تقو على الرد فقال لها:

«لا تقلقى لذلك. ولكن أقول لك إنى أفضل من لو مارش. ولعلك تأخذين هذا فى الاعتبار.»

«آسفة لذلك الفيلم يا جيرى... وهل صرت بدون عمل؟»

www.elromancia.com

«لا. ولكنى لم أسعد بطردى من الفيلم لأن دورى فيه كان رائعًا.»

ولما وصلا إلى كريستايل كورت سألها جيرى:

«هل أنت سعيدة حقًا مع لو يا فاى؟»

وشعرت به يتحسس دثارها المخملى. وفكرت أنه طيّب ورقيق ولكنها لم تتأثر بإعلان حبه، وردت تقول:

«أنا سعيدة مع لو... أعرف أنه قاس وعنيد ولكنى أفهمه.»

«أيتها المجنونة الصغيرة!»

وفجأة ضمها بين ذراعيه، ولكنها قاومته بكل قوتها وهى تقول:

«أنت وغد حقير.. أنا لا أريدك. كيف تظن أنى أريدك؟»

فارتجفت يداه وبدا على وجهه الألم وقال:

«آسف.»

وتركت فاى السيارة ودخلت باب المنزل، فتنهد جيرى وجلس بالسيارة ينظر إلى الباب.

بقى جيرى فى السيارة ساكنًا بضع دقائق ثم قفز منها وقصد الباب.

ولما دق جرس الشقة بإصرار توترت أعصابها، وفكرت أن لو ربما أرسل من يخبرها شيئًا عن بيل، لكن لو لا يضيع وقتًا بل يتصل بها تليفونيًا.

وفتحت الباب محملقة فى جيرى فى دهشة وغضب وقالت:

«ماذا تريد يا جيرى؟ ألا تكف عن ملاحقتك إياى أبدًا؟»

«ولكننا لم نفرغ من كل الأحاديث بعد. ولا يمكننا الابتعاد بعضنا عن بعض ونصبح غريبين. فلن أسمح بذلك أبدًا، أرجو أن تسمحى لى بالدخول حتى أكلمك.»

وضغط بشدة على الباب ودخل الشقة. ثم أغلق الباب. واستند بظهره عليه قائلاً:

«ماذا جرى لنا؟ لقد كنا صديقين حميمين... ماذا قال لك لو عنى حتى أصبحت تكرهيننى؟ من حقى أن أعرف يا فاى.»

«إنه لا يحبذ اهتمامك بى فهو زوجى.»

«إنك صورة للعروس السعيدة. فوجهك شاحب وعيناك فقدتا القدرة على الابتسام.»

وأردف يقول:

«إنى أذكرك يوم التقينا على الشاطئ. وكنت ترتدين ثوبًا للبحر... ليمونى اللون وكان شعرك مرفوعًا إلى الخلف بشريط ليمونى. فبدوت كطفلة صغيرة. ووددت ساعتها أن أحملك وأهرب بك وليتنى فعلت!»

واستعرضت فاى معه تلك الذكريات فابتسمت وقالت:

«ربما كنت هربت معك حينئذ..»

«وهل فاتت الفرصة الآن؟»

«لقد تزوجت لو وأنا أعرف أنه يريد دمية يلهو بها. وإنى ألوم

www.elromancia.com

نفسى كلما عاملنى بهذه الطريقة. ولكن الوعد حق، فسأبقى معه طالما هو يريدنى.»

«لكن هذا ليس كافيًا.»

وخطا نحوها وقبض على يدها ثم قال:

«إنك خلقت كى يفتخر بك أى رجل ويمنحك صداقته. لا أن يجلسك فى شقة فاخرة. تعالى معى يا حبيبتى وسوف أعطيك البسمة والمرح. فإنى أعرف كيف أرجع إلى طفولتى لنمرح سويًا، تعالى معى الآن قبل فوات الأوان، وقبل أن يقتل ذلك الرجل كل ذرة من أنوثتك وشبابك المرح.»

«ولكنى أحبه.»

وسحبت يديها منه وواجهته بثبات غريب أدهشه. فقال بمرارة:

«إنك أسيرة ذلك الرجل، وسوف تفيقين بعد فوات الأوان تمامًا مثل إينز، لقد حطمها قبلك وسوف يحطمك مثلها.»

«لا أقبل كلامك هذا. فليس لك الحق أن تحط من قدر لو. لأنك لست أفضل منه؟»

«ماذا تقصدين؟ وماذا قال لك لو عنى؟»

«إذا كنت تصرّ. قال أن سمعتك فى مستوى سمعته بالذات.»

«وما هو رأيك؟ هل تظنين أننى على شاكلته؟»

فهزت رأسها وقالت:

«لن نصل إلى شىء سوى أن يؤلم أحدنا الآخر. فأنا آسفة لعدم إمكانى مجاراتك يا جيرى. إن لو يحتّل قلبى ولن أنزعه منه.»

«لا يا صغيرتى. ليس من السهولة بمكان أن ننزع شخصًا من قلوبنا. فأنا لا أنزعك من قلبى بسهولة، إذ تسللت إليه بوجهك الصغير وعينيك الكبيرتين. لقد ظننت أنك أحببتنى يا فاى. كنت ترقصين بين يدى وكانهما مرفأ الأمان الذى تقصدين إليه وسط العاصفة.»

خفق قلبها فمد يديه واحتواها بينهما فاسندت رأسها على كتفه وقال لها:

«كان لابد أن لنا أن نلتقى منذ زمن بعيد. يا حبيبتى، فاى، لا تدعى لو مارش يلحق بك ضررًا. فسوف أكون قلقًا عليك دائمًا.»

«إنه ليس بالوحش الكاسر. والآن يحسن بك أن تتصرف يا جيرى فالوقت متاخر.»

«ولكن ماذا نفعل؟ هل أكتفى بلمحات منك فى افتتاح الأفلام والحفلات والمطاعم؟»

«آسفة يا جيرى.»

وقف ينظر إليها وهو فى طريقه إلى الباب ثم قال لها:

«هل أنت واثقة أنك لم تطردى الرجل الجدير بك يا فاى؟»

فهزت له رأسها، ثم خرج بهدوء من الشقة.

www.elromancia.com

٥ - المطاردة

رجع لو إلى المنزل متأخرًا. وكانت فاى مازالت مستيقظة تنتظره، فنظر إليها وهى راقدة بين الوسائد الحمراء على الأريكة، ثم سألها:

«لماذا لم ترقدى فى فراشك؟»

«لم أشعر بالرغبة فى النوم. كيف حال بيل؟ وماذا قال الطبيب؟»

«نصبح بنقله إلى المستشفى. ولا أظنه سيخرج منها أبدًا. بيل سيموت هناك. هو فى الثالثة والثلاثين من عمره ولم يبدأ حياته بعد. ولم ينجز مشاريعه التى كان يحلم بها. فلماذا يحل به المرض؟»

«لا أدرى يا لو. عندما كنت أشتغل فى التمريض كانت تصادفنى مثل هذه الحالات، وكنت أحزن لها، لذلك أعرف شعور الحزن واليأس الذى تعانيه، لأنك عاجز عن عمل شىء له. هذا شعور محزن.»

ثم سألته قائلة:

«هل ترغب فى شرب القهوة؟»

«نعم - أرجوك.»

ولما عادت بالقهوة والشطائر وجدت لو يقف قرب النافذة ويحدّق فى ظلام الليل بقامته الطويلة وظهره العريض. فعجبت فاى من شخصيته المتناقضة. إذ عرفت اليوم أنه طزد جيرى من دوره لمجرد الحقد. ولكنه الآن يقف وكله أسى لأنه عاجز عن درء أجنحة الموت عن بيل. وأخيرًا قالت:

«تعالى كى تشرب القهوة قبل أن تبرد.»

جلس لو على الأريكة بجانب فاى وقال لها:

«سوف أذهب إلى انجلترا بعد أسابيع قليلة وذلك بعد الانتهاء من التصوير. فكريستابل يود إخراج قصة لشكسبير، ولا أخفى عليك أننى متحمس لذلك. وسوف أذهب إلى ستراتفورد كى أقنع واحدًا من الممثلين من عزلته، ويمثل معنا.»

«وماذا عن الرقابة؟»

فابتسم يقول وهو يأكل الشطائر:

«هذه هى العقبة. ولكن كارل يمكنه تحمل الخسائر إذا فشل الفيلم، أما أنا فسوف أشعر بالرضى لإخراجى فيلمًا فنيًا يتكلف كثيرًا ولا يدر إيراداً. ومن العجب أن قصص شكسبير بكل إثارتها لا تنجح فى جذب الجمهور وتحقيق إيراد كبير. فهل تعرفين السبب؟ ذلك لأن الناس يغلفون الجنس بكلمات أخرى مثل كلمة الحب.»

«هذا لأن من طبع المرء أن يجذبه الغلاف الجميل يا لو. مثل الفتاة التى ترتدى الحرير. فالحياة تصبح لا طعم لها إذا لم تتجمل.»

حدّق لو فى فاى وراح يضحك وفجأة سألته فاى:

«لماذا سحبت الدور من جيرى كوفمان؟»

«هل علمت بذلك؟»

«قابلت جيرى الليلة.»

«حقًا؟ وما وجهة نظره؟ هل قال إنى طردته من الفيلم لأنه يتعقبك؟»

«أظن أنك فعلت ذلك حقدًا عليه.»

«ما أحسن الصورة التى لديك عنى يا فاى! فكيف تطيقين البقاء معى فى غرفة واحدة؟ الواقع أننى أنا وكوفمان لم نتفاهم فى العمل وهذا يضر الفيلم، ولكنى لا أسمح للحقد أن يؤثر علىّ يا فاى. ولك أن تصدقى أولا تصدقى ما أقول. ولن أحزن إذا لم تصدقينى.»

تنهدت فاى فسمعت لو يقول:

«قوليها. يا فاى... قولى إنك أصبحت لا تحبيننى.»

فنظرت إليه بعينيها الزرقاوين وقالت هامسة:

«إذا أردت أن تقص جناحى وتحد من حريتى فافعل يا لو.»

«أهو الشعور بالذنب أم التضحية تدفعك لأن تعرضى هذا العرض؟»

فحدقت فيه وقالت هامسة:

«إنى أعجب من نفسى. لماذا أحبك؟ فأنت قاس كالحديد..»

وضع لو فنجان القهوة جانبًا. وقبض على رسغها وجذبها نحوه بشدة فسقطت على صدره وقال لها:

«اسف لأنى لست ذلك الفارس ذا الدرع البراق الذى كنت تتمنينه. ولكنى أحرص دائمًا على أن أعاملك بالحسنى بأقصى ما بوسعى وكما لا أعامل غيرك.»

وشعرت بدقات قلبه القوية. وفى هذه اللحظة بالذات تنبهت إلى أنها تحمل طفله فى أحشائها. وتساءلت ماذا يقول إذا أطلعته على الحقيقة الآن؟ وكيف ينصرف يا ترى؟ هل يمنحها حنانه؟ أم يروح يتخبط لأن زواجهما المؤقت سوف ينجب طفلاً؟

«فيم تفكرين؟»

فحاولت التخلص من قبضته وقالت:

«لا شىء، أشعر بالتعب يا لو.. دعنى أذهب إلى الفراش.»

«منذ لحظات ادعيت بأنك لا تشعرين بالنعاس. ماذا بك يا حبيبتى؟ هل أنت خائفة من أن أضغط عليك برغباتى العاطفية؟ وهل أصبحت لا تستسيغين لمساتى بعد أن ذقت لمسات كوفمان؟»

وراحت تتخلص من قبضته والألم يطل من عينيها وهى تقول:

«إنك حقير.. دعنى وشأنى.. دعنى يا لو.»

«لابد أن أقول لك أولاً طالما أنك تعيشين تحت سقفى من الأفضل أن تبتعدى عن كوفمان. أنت زوجتى ويجب أن تفعلى ما آمرك به. اتهمتنى مرة أنى اشتريتك. نعم يا فاى اشتريت عواطفك،

www.elromancia.com

وعندما أريد أن أتمتع بتلك العواطف فسوف أفعل. على أن أكون الوحيد الذى له الحق فى ذلك».

وفجأة دفعها على الوسائد فرقدت فاى ساكنة تعيسة. ثم قال لها بسخرية:

«هل هذا استسلام أم عدم اكتراث؟»

وفى اليوم التالى ذهبت فاى لاستشارة الطبيب الذى أكد حقيقة الحمل.

بعد ثلاثة أسابيع مات بيل سيمانز. وبرغم أن فاى ولو كانا يتوقعان ذلك، لكن الخبر صدمهما. وحضرا الجنازة مع المئات غيرهم. كان بيل محبوبًا من الجميع. وهال فاى أن ترى أناسًا لا يبدو عليهم الحزن ينهارون ويبكون عندما وارى التراب نعش بيل.

أما لو فبقى متماسكًا طوال مراسم الجنازة، ولكنه انهار بعد رجوعه مع فاى إلى المنزل. فدخل الغرفة وأخذ يبكى فى صمت. ثم جهزت له القهوة ودخلت عليه فوجدته مستلقيًا بعرض الفراش... شعره مشعث... وربطة عنقه سائبة. وسترته ملقاة قرب السرير.

وضعت فاى القهوة على المنضدة قرب السرير. وجلست على حافته وأخذت رأس لو بين يديها.. ولما تشبث بها وضعت خدها على شعره وأخذت تهدهده وتقول هامسة:

«أعرف يا حبيبى شعورك. فالألم يعتصرك لفقد شخص تحبه. إنى ألمس يا لو ذلك الشعور بالمرارة والأسى.»

ويقى ساكنًا بين ذراعيها لعدة دقائق ثم تنهد وابتعد عنها وأخذ ينظر إليها بعينين محمرتين وقال لها:

«سوف أسرّ عندما نغادر هذا المكان، وإنى أتعجل سفرنا يا فاى.»

فسألته قائلة:

«وهل تريدنى معك؟»

«بكل تأكيد. وهل ظننت أنى أتركك وحدك فى هذا المكان الملعون؟ إنى لست بهذه السفالة.»

ثم قامت تصب القهوة. لقد قال لها الدكتور فورستر ألا تجهد نفسها بالسفر. ولكن لو محتاج إليها بشدة ولن ترفض له هذا الطلب، فلقد رأت فى عينيه نظرة استجداء وهو يرفع شعره عن وجهه ويبدو وقد ذابت الصلابة عن فمه. ولكن إذا أخبرته الآن عن الطفل فسيصرّ على السفر وحده إلى انجلترا. فلم تقو على إخباره لأن الوحدة كانت تطل من عينيه. وهو يريدها معه فلن تقوى على مخالفته.

ذهبت فاى إلى الطبيب قبل سفرها بأيام معدودة. وشرحت له ملابسات الرحلة. وبالغت فى عدم تقبل لو موت صديقه بيل وقالت:

«لن أتخيله يسافر وحده.»

«ولكنك تعرضين الجنين للخطر يا سيدة مارش.»

«ولكننا سوف نسافر بالطائرة. وهى ليست بالرحلة الطويلة.»

فقال لها بجدية:

www.elromancia.com

«تقبلى نصيحتى وابقى هنا.»

هزت رأسها قائلة:

«إن زوجى يأتى فى المرتبة الأولى!»

وقفت فاى تتطلّع إلى النافورة التى تتدفق فوق بحيرة آفون وعلى يسارها شمخ مسرح شكسبير التذكارى الحديث، تنعكس صورته بكل بساطته المعمارية على المياه الصافية، ولكن فاى كانت تشعر فقط بالهواء البارد يلفحها وبأوراق الخريف تتساقط على قدميها.

فارتجفت وأخذت تضمّ ياقة معطفها على عنقها ووجهها. طال غياب لو. فقد اقترح عليها أن تتجوّل فى البلدة بدلاً من حضور المؤتمر الممل معه فى الفندق الصغير. ولكن المؤتمر الذى كان يضم رجال السينما المهتمين بقصة شكسبير الجريئة. وممهم الممثل الذى جاء لو خصيصًا كى يضمه إلى الفيلم. فأشعلت لنفسها سيجارة ولكنها شعرت برجفة فى بدنها تركزت على ساقيها اللتين كادتا تنشيان تحتها. فأخذت تجذب أنفاسًا عميقة من السيجارة جعلتها تسعل قليلاً.

كان هذا شهر مارس آذار فى انجلترا بسحبه البيضاء، وقد أشعر فاى بلسعة برد بعد تعودها على جو هوليوود الدافئ.

وراح الهواء يطير شعرها وينثره على جبهتها، فلم تشعر بوقع خطوات خلفها. إلى أن سمعت صوتًا مألوفا يقول لها:

«أعرف مقهى للشاى حيث نجد الفطائر الشهية.»

فالتفتت مندهشة تحلق فى أعماق عينى جيرى كوفمان.

ثم شعرت بالدفء يكتنفها ويعيد إليها الحيوية. ويجعل عينيها تبرقان بلونهما الأزرق، وهتفت تقول:

«هل هذا أنت يا جيرى؟ ماذا تفعل هنا؟»

«أتمتع بمفاتن ستراتفورد وأشم عبر هوائها.»

وأخذ يطوف بنظره على وجهها بمحبة واعتزاز وقال:

«أنا سعيد للقياك.»

«كنت أشعر بالوحدة عندما ظهرت لى.»

«تعالى معى نأكل الفطائر وساقص عليك كل شىء.»

«ولكننى أنتظر لو.»

«وأين هو؟»

«إنه يعقد صفقة عمل.

«تعالى معى إذن لأطعمك اللحم البقرى والحلوى. فأنت تحتاجين إلى اللحم البقرى الأحمر والصلصة يا صغيرتى.»

ومشى معها على الحشائش إلى المطعم وهناك تناولا وجبة كاملة. وأثناء شرب القهوة أخبرها بالغرض من مجيئه إلى انجلترا وقال:

«أبرمت عقدًا جيدًا مع شركة صوفيا للأفلام. وهى شركة أوروبية. وكنت معجبًا بالأفلام التى تنتجها. والظاهر أنهم أعجبوا بى أيضًا. كنت قد أصبت بالإحباط فى هوليوود من تكرار تمثيلى اللون نفسه من الأدوار. وساعرف كيف أنطلق وأفرد جناحى مع شركة صوفيا.»

www.elromancia.com

ثم نظر إليها وابتسم:

«إنك اليوم أجمل منك فى أى يوم مضى.»

ولكنها تجاهلت هذا الاطراء وقالت:

«وماذا تفعل فى ستراتفورد؟»

«إننى هنا كى أخطف زوجة لو مارش.»

«وهل جننت؟ حسبت أنك قد تركت هذا السخف جانبًا.»

«هذ ليس سخفًا بالنسبة إلى. فانا أحبك يا فاى وسأفوز بك.»

«ولكن الذى اتفقنا عليه فى هوليوود مازال ساريًا. أتظننى تغيرت؟»

«سوف تتغيرين يومًا ما ويبطل السحر الذى لفك به لو وأنا أود أن أكون بقربك حينذاك. ولذلك أظهر لك دائمًا كالمارد المسحور.»

ولما رجعا إلى المسرح التذكارى رأيا لو يتمشى بجانب البحيرة. فحملق لو مندهشًا عندما اكتشف جيرى وهو يمسك بيدها ويساعدها على اجتياز الطريق. وقال لها:

«أين كنت بحق الشيطان؟»

فابتسمت له وقالت:

«شعرت بالجوع والبرد وفجأة ظهر لى جيرى فاصطحبنى للغداء.»

«كان فى إمكانك الرجوع إلى الفندق إذا كنت بهذا الجوع. فمن يسمعك يقول إننى أهلمتك عن عمد.»

ثم وجه نظرة إلى جيرى باشمئزاز وقال ساخرًا:

«ماذا تفعل فى ستراتفورد؟ هل تثقف نفسك؟»

«جئت فى جولة سياحية. وقد ذهبت أمس لزيارة قلعة وورويك وهى مكان رائع يجب الا تفوتكما زيارته.»

«أشك أننا سنجد الوقت لذلك. فسوف نرجع إلى لندن هذا المساء.»

فسألته فاى متعجة:

«هل نحن ذاهبان حقًا؟ ظننت أننا سوف نبقى هنا لبضعة أيام أخرى.»

«الأجدر بك أن تودعى صاحبك. فساسرع إلى الفندق لأجرى بعض الاتصالات.»

ونظرت فاى إلى جيرى تقول:

«الوداع يا جيرى. أرجو أن توفق فى العمل مع شركة صوفيا.»

«سوف أوفق يا صغيرتى.»

«لماذا لا تعامل جيرى بتهذيب لا لو؟»

«ولماذا يغضبك أن أعامله بهذا الأسلوب؟»

«لأنه صديقى ولا حق لك أن تسخر منه. وإذا كنت تكره جيرى فلست مجبرة أنا على ذلك.»

وأخذ ذراعها واجتاز الطريق وهو يقول لها:

www.elromancia.com

«إنك تشعرين بالزهو لأن جيرى يتبعك إلى كل مكان.»

وكان فى ذلك القول شىء من الحقيقة ولكنها أنكرت قائلة:

«بل حضر إلى هنا كى يمثل بعض الأفلام.»

«بل هو يتبعك أينما ذهبت. فقد فزت بإعجابه. ولكن عليه أن ينتظر طويلاً. فأنا ست مستعدًا أن أسلمك إليه.»

جذبت ذراعها منه وقد احمرّ وجهها وقالت:

«لا داعى لأن تكون جافًا معى لأن اجتماعاتك لم يقدر لها النجاح.»

وكانت قد شعرت بذلك عندما رأته يتمشى بجانب البحيرة وهى راجعة مع جيرى فاعتذر لها قائلاً:

«آسف يا فاى. وأعتقد أننى حاقد على بروستر. فهذا الممثل لن يمثل الدور. فقد صرح أن التمثيل يثير فيه الملل والآن قد عثر على عمله الحقيقى وهو الزراعة. أتصدقين أنه يفضل زراعة الكرنب على التمثيل؟»

وراحا ينهبان الطريق إلى لندن ليلاً فى السيارة التى استأجرها كى يذهبا إلى ستراتفورد. ولم يكن لو معتادًا على وجود عجلة القيادة إلى الجهة اليمنى كما هو الحال فى السيارات الإنجليزية فكانت السيارة تهتز فجأة فى يده. وتجعل فاى تشعر بالغثيان الخفيف.

وكان هذا الشعو يقلقها لأن حدوثه كان قبلاً قاصرًا على الصباح فقط ثم يختفى بعد ساعة. لكنه حينئذ بقى طول اليوم يصاحبه ذلك الضعف فى ساقيها.

ومالت إلى الوراء وحاولت الاسترخاء حتى لا تلتفت إلى قيادة لو المستهترة. ثم قالت:

«إنك تتكلم يا لو وكأن رالف بروستر لن يمثل الدور الأول فالممثل معروف فى أميريكا ويمتلك الحماسة والحيوية التى قد لا توجد فى غيره من الممثلين الإنجليز من مستواه.

وفجأة قال لو لفاى:

«لن أعلن خيبتى. فلدى الوقت الكافى لأرجع إلى ستراتفورد مرّة أخرى.»

«الليلة؟»

وكانت فاى تشعر بالتعب والقلق والمرض. ولذلك تذكرت تحذير الدكتور فورستر لها بأن ذهابها إلى انجلترا سوف يعرض طفلها للخطر، ثم مدت يدها وقبضت على ذراع لو وقالت:

«ألا يمكننا المبيت فى أى مكان ونرجع إلى ستراتفورد فى الصباح؟»

«هل تشعرين بالتعب؟»

فهزت فاى رأسها بالإيجاب.

فقال لو:

«نحن قريبان من تايم فيمكننى أن أتركك فى أحد فنادقها ثم أذهب بمفردى.»

«انتظر حتى الصباح يا لو!»

«أحب أن أنهى أمورى متى صممت على ذلك. ولن أقبل كلمة لا من ذلك الرجل. سأذهب إليه الليلة. ولك الخيار فى أن تبقى هنا أو تذهبى معى. واختارت فاى أن تبقى لأنها شعرت بالتعب من اهتزاز السيارة. وقال لها بعد أن اطمأن عليها وهمّ بالذهاب:

«انتظرى عودتى باكرًا وقت الغداء. ولن أنسى أنى تركتك هنا.»

«حسنًا ألا تقبلنى؟»

«وهل تريدين ذلك؟»

ولما نظرت فى عينيه تأكدت أنه برغم أن مسألة بروستر كانت تشغل باله. إلا أنه لم ينس ظهور جيرى فجأة فى ستراتفورد. ولم يزل يشك فى ملابساته.

«طبعًا أريدك أن تقبلنى.»

فضحك وجذبها وأخذها بين ذراعيه. فتعلقت بعنقه. ثم قال لها:

«إنك تعانقيننى وكأننى ذاهب إلى الحرب.»

وكان لو يمزح لكنه شعر بالتأثير نفسه.

«نعم. وإنى أتساءل عن السبب.»

وكانت تود أن تقول له: لا تذهب يا لو... أرجوك ألا تتركنى لكنها تمالكت نفسها ولم تقلها. وفجأة قال لها:

«هل أنت بخير يا عزيزتى؟»

لقد لاحظ شحوبها وضعفها واستغرب لذلك، فقد أمضيا ثلاثة

أسابيع هادئة فى انجلترا وعاود سؤاله:

«هل أنت على ما يرام؟»

«أشعر بالتعب فقط»

«إذن اذهبى إلى الفراش فى وقت مبكر يا حبيبتى.»

ثم داعب ذقنها بحنان ومضى.

اغتسلت فاى. ورتبت هندامها ثم نزلت إلى العشاء الذى تناولته بمفردها. وشعر صاحب الفندق بالحرج لأنها تتناول العشاء وحيدة فى المطعم فقال:

«هذا الوقت من السنة مازال مبكراً لحضور الزائرين.»

فابتسمت فاى وقالت له:

«لا تقلق لذلك، فأنا سعيدة بوحدتى.»

«إن الشاب الأميريكى اسمه مستر كوفمان؟»

وقبل أن يجيبها الرجل بالإيجاب عرفت أن نزيل الفندق هو جيرى كوفمان نفسه من الغريب أن يختار جيرى الفندق نفسه الذى تنزل فيه فاى!

«هل تعرفين الشاب يا سيدتى؟»

«نعم. فنحن صديقان من زمن بعيد.»

وبعد أن انتهت من تناول العشاء جلست تقرأ المجلات على أريكة من الجلد بجانب المدفأة الكبيرة، وكانت منهمكة فى قراءة مقال القلاع

www.elromancia.com

الانجليزية· القديمة عندما فتح الباب فجأة. ودخل منه رجل يصفر بمرح، ولكن صفيره توقف فجأة. للدهشة البالغة التى ظهرت على وجهه. ونظرت فاى إليه وهى تتمعن فى وجهه البالغ الدهشة وقالت:

«نعم يا جيرى... إننى هنا.»

ثم سألها وهو يعبر الغرفة ويتجه إليها ويتلفت باحثًا عن لو.

«أين لو؟»

«لو أوصلنى إلى هنا ورجع ثانية إلى ستراتفورد.»

«وماذا يشغله فى ستراتفورد؟»

«يريد التعاقد مع رالف بروستر. وهو يبدى التمتع ويتمسك بالعناد. وأنت تعرف لو جيدًا. فلن يهدأ له بال إلا إذا نال غرضه.»

«هذا صحيح. والآن ما رأيك فى عصير الطماطم؟»

«هذا يروق لى كثيرًا.»

فأحضر لها جيرى العصير. أما هو فراح يتناول الشراب. وجلس بجوارها على الأريكة. ثم أخذ ينظر إليها معجبًا. فقالت له وقد بدا عليها الخجل:

«ماذا أتى بك إلى هنا يا جيرى؟»

«توقفت سيارتى فلعنت حظى العاثر لذلك، ولكنى الآن أحمد الله لذلك العطل.»

«إذا كنت ستذكر لو بالسوء فلن أبقى هنا لأتحدث معك.»

«الأفضل أن نتحدث عنك بدلاً عنه. لماذا تغيّرت ولم تعودى تلك الفتاة النحيلة التى كنت أعرفها؟»

وفاجأها هذا السؤال فاحمرّ وجهها. فلو لم يلاحظ أى تغيير ولكن جيرى، إذ لم يرها لأسابيع مضت. لاحظه. ولم يتورع عن أن يسألها هذا السؤال الصريح.

وبالتدريج أخذ يفهم معنى احمرار وجهها. وبان فى عينيه أنه عرف سرها. وقال بلهجة هادئة:

«فهمت.»

ثم أردف يقول:

«لو رجل محظوظ فهل هو سعيد بأبوبته المرتقبة؟»

وقال ذلك بسخرية فردت عليه فاى تقول:

«لم أخبره بعد.»

«وهل تحتفظين له بالخبر إلى يوم عيد ميلاده؟»

أشاحت بوجهها قليلاً، وسألها:

«ماذا هناك يا صغيرتى؟ ألا تسير الأمور بينكما على ما يرام؟»

«هل كنت تعرف إينز هولدن يا جيرى؟»

فهز رأسه بالإيجاب وترك ذقنها وقال:

«نعم كنت أعرف إينز هولدن. ولكن لماذا هذا السؤال؟»

www.elromancia.com

فادارت كوب العصير بيدها وهى متوترة وقالت:

«كثيرًا ما أتساءل إذا كان لو مازال يفكر فيها.»

ظهرت الحدة على وجه جيرى وقال:

«أتقصدين أنها مازالت تقلق ضميره؟ لابد أنه يعانى من ذلك؟»

فامسكت فاى بذراع جيرى وقالت له:

«قص علىّ كل شىء يا جيرى لابد أن أعرف ماذا فعل لو بها حتى أقدمت يائسة على تلك الفعلة الشنيعة.»

«هل تقصدين انتحارها؟»

فهزت رأسها واتسعت عيناها وركزتهما على وجه جيرى.

ترك جيرى شرابه جانبًا، وقام فجأة وأخذ يروح ويجىء أمام المدفأة ويقول:

«لا يهمنى لو مارش ولكنى أهتم بك. يا فاى. فاقول لك ما أحجمت عن قوله منذ ثلاث سنوات عندما أعلنت المحكمة بأن إينز هولدن انتحرت. ولكن إينز فى الحقيقة لم تنتحر.

فسألته فاى وهى تنظر إليه بدهشة:

«وكيف علمت ذلك؟»

«كنت معها فى ذلك اليوم.»

ثم أخرج علبة سجائر من جيبه وقدم واحدة إلى فاى، لكنها رفضتها وراحت تراقبه وهو يشعل سيجارته فرات يديه ترتجفان ثم

أخذ يدخن سيجارته ويقول:

«كنت صديقًا لإينز قبل أن تتعرفّ بلو. لم أكن أحبها كنت معجبًا بها. ثم تعرفت إينز على لو فى حفل. وسرعان ما خطبها. وكان يتعجل الزواج بها ولكنها كانت تريد أولاً أن تبنى لنفسها اسمًا فى عالم السينما.»

ثم هز جيرى كتفيه وعاد يقول:

«لكن العقبة كانت أنها لا تجيد التمثيل برغم جمالها الصارخ. وكان لو مفتونًا بها. فأوعز إلى ك. ك. أن يبرم معها عقدًا يتيح لها تمثيل دور فى فيلم كان يخرجه وقتئذ. ولكن عندما وضعت. إينز قدميها فى الفيلم اختل كل شىء. فالممثلة الأولى جانى ستريتر أصيبت بوباء وكان لابد من استبدالها. ثم شبّ حريق فى بعض الأفلام الخام وفى إحدى غرف آلات العرض. كذلك فى بعض المناظر المكلفة. وتدخل لو لحماية إينز عندما صمم ك. ك. الذى كاد أن يجن أن يطردها من الفيلم. وتلا ذلك أن أضرب كاسى أندرسون. الممثل الأول عن العمل، وأخبر لو أنه سوف يستمر فى الامتناع عن التمثيل إذا لم يطردها. ولكن كاسى لم يكن يريد تنحية إينز لرداءة تمثيلها. بل لأنها كانت تكرهه وتكره محاولاته مغازلتها. وقد واجهته بذلك أمام جميع ممثلى الفيلم وممثلاته. لكن لو كان يعلم مقدار أهمية كاسى للفيلم من جهة نجاح الشباك والإيراد.»

ولذلك اتهم لو إينز أنها لا تعدو أن تكون مجرد دمية. وأنه يأمرها بأن تترك العمل حتى يبقى كاسى وكان لو عنيفاً معها لأنه لا يقر

www.elromancia.com

بصاف الحلول. وأعتقد أنه كان قد ملّ إينز وهى تتلف منظرًا تلو منظر من الفيلم بتمثيلها الردىء فأخبرها أنه ما كان ليتحملها حتى ذاك الوقت لولا أنها تلبس خاتم خطوبتهما فى أصبعها. فما كان منها إلاّ أن ألقت بالخاتم فى وجهه. فداسه لو بقدمه وفتته».

ثم أشعل جيرى سيجارة أخرى وأكمل يقول:

«سمعت عن ذلك النزاع من إينز نفسها عندما تقابلنا مساء اليوم سه فى أحد المقاهى. وعندما خرجنا كانت فى حالة عدم مبالاة. هبنا بعد ذلك إلى الرقص».

وابتسم جيرى لفاى وقال:

«كانت جميلة جدًا وكانت فتاة لو الذى أكرهه. ربما لأن كل شىء يأتيه بسهولة ويسر ولم يجاهد كما جاهدت فى سبيل الوصول إلى القمة. وربما كرهته لأنه لا يراعى شعور الغير. واستمر الوضع على هذا الحال لأكثر من أسبوع، واعتقدت أنها رجعت إلى صوابها. وعند خروجنا من السينما ذات مساء قالت لى إينز ستذهب إلى لو وتطلب منه إعادة علاقتهما. فالحياة كالجحيم بدونه. فأوصلتها إلى منزله وانتظرتها فى السيارة. كنت أعلم أنها منساقة إلى طريق مسدود. وأن كرامة لو لن تغفر لها انزلاقها. وكنت على حق. إينز خرجت باكية من كريستال كورت. وهى تعدو خارج منزل لو. كنت أنتظرها على الجانب الآخر من الطريق فى سيارتى فرأيت ما حدث بالضبط: نزلت من الرصيف فى طريقها إلىّ لتلقى حتفها تحت سيارة نقل. وفى التحقيق اعترف لو بأنه طردها من شقته. وقال السائق إنها ألقت بنفسها تحت

سيارته، ولم أكن فى حال تمكننى أن أنقض تلك الأقوال فى المحكمة فأيدتها».

قالت فاى بهدوء:

«واذيع أنه حادث انتحار! ولكن لماذا فعلت ذلك بلو يا جيرى؟»

فهز جيرى رأسه وقال:

«لأنها قصدته بحبها وبكرامتها الجريحة، فتجاهلها وطردها.»

فارتجفت فاى وتثلجت يداها وقالت:

«إن للو كرامته.»

«بل إنه قاس دائمًا. ماذا يجعلك تحبينه يا فاى؟ ماذا ترين فيه وهو رجل مجرد من العاطفة والتفاهم؟»

«لا أدرى... لا أدرى.»

ثم قال لها بهدوء يكاد يكون خضوعًا:

«أنا أمتلك الصفتين. وها أنا أرحب بك إذا أتيت إلىّ الآن.»

«ولكنى أحمل طفله يا جيرى. وأرجوك أن تتركنى وحدى.»

فألقى ببقية سيجارته فى نار المدفأة الخابية وقال:

«حسنًا يا صغيرتى، سأذهب الآن. ولكننا سوف نلتقى لأنه مقدر لنا اللقاء.»

«وراحت تتطلع إلى وجهه وكأنها تدخر كل قسماته فى ذاكرتها.

عيناه اللوزيتان. وفمه الساخر. وشعره الأسود المجعد الذى يغطى جبهته. ثم قالت:

«شكرًا لك يا جيرى»

«أنا أعطيك الدنا كلها بطيب خاطر.. إذا طلبت منى ذلك..»

... وها أنا سأرحل فى الصباح الباكر. فالوداع يا فاى.»

«الوداع يا جيرى.»

ثم قامت إلى فراشها، لكن قدمها تعثرت بشىء. لم يكن سوى علبة سجائر جيرى الذهبية. فحملتها معها وهى لا تذكر أنه سيغادر الفندق باكرًا فى الصباح.

٦ - قطار الموت

استيقظت فاى صباح اليوم التالى على صوت فنجان الشاى يهتز بيد زوجة صاحب الفندق البدينة. وحاولت أن تبتسم للمرأة التى راحت تبادلها الابتسامة ولكن فاى شعرت بتوّعك شديد وسمعت المرأة تقول:

«ماذا تطلبين لافطارك؟ سمكًا وبيضًا؟ أم لحمًا ومعه بيض؟»

وراحت فاى ترتجف لسماعها كلمة سمك، وأمكنها أن تقول بصعوبة إنها تطلب خبزًا مقددًا توست... فقط لإفطارها.

وهال المرأة ذلك فقالت:

«خبزًا مقددًا؟ ولكنه لا يشبع المعدة يا عزيزتى. هل أنت متأكدة من ذلك؟»

فهزت فاى رأسها:

«وهل ترغبين فى بعض المربى معه؟»

«لا، خبز مقدد فقط»

www.elromancia.com

وخرجت المرأة فتنهدت فاى ارتياحًا. ووضعت فنجان الشاى على المنضدة قرب الفراش. واتكأت على الوسائد وراحت تحدق فى السقف وتقاوم الغثيان الذى انتابها. وكادت تبكى من شدة الألم ومن غياب زوجها. ومرت الدقائق وهى تجاهد لتجد القوة والشجاعة وفجأة أزاحت الغطاء وتركت الفراش لكنها شعرت بدوار وكادت ساقاها أن تتشيا. وشعرت بخوف أسال العرق البارد على جبينها.

وذهبت إلى المنضدة حيث وضعت المرأة الماء الساخن فاغتسلت وارتدت ملابسها ومشطت شعرها ووضعت البودرة على وجهها وقليلاً من الأحمر على شفتيها بيد ترتجف، وعندما فتحت باب الغرفة وخرجت منه شمت رائحة السجائر من الطابق الأول، فأصابها الغثيان وأمسكت بالباب تحاول التغلب على ضعفها حتى يمكنها النزول. وفى تلك اللحظة صعدت زوجة صاحب الفندق التى صاحت تقول:

«إنك لست بخير يا عزيزتى.»

وأخذت بيدها وأعانتها على الرجوع إلى الفراش وقالت لها:

«هل أطلب زوجك تليفونيًا؟»

«لا.. أظنه فى طريقه إلى. وسأكون بخير بعد برهة.»

ووقفت المرأة على سرّ فاى فقالت لها:

«هذا الشعور يأتى دائمًا فى الصباح. فاستريحى وسوف أحضر إليك الإفطار.»

«شكرًا لك.. إنك طيبة القلب.»

ثم أكلت قطعة صغيرة من الخبز المقدد وخلعت حذاءها وتدثرت بالغطاء، وراحت فى نعاس قلق.

ولما استيقظت وجدت أمامها لو فابتسمت له وقالت:

«هل هذا هو موعد الغذاء أم أنك أتيت مبكرًا؟»

«لقد أتيت مبكرًا. قابلت صاحبة الفندق وأخبرتنى أنك لست بخير، ثم ألمحت لى بابتسامة وغمزة عين. فهل علىّ أن أخمن الباقى؟»

«ماذا يغضبك يا لو؟»

«لنفرض أن الطفل هو طفلى، لماذا أسمع ذلك الخبر من امرأة غريبة؟»

«تقول: لنفرض أن الطفل طفلك؟»

وأخذت تحدّق فيه ثم رأته ينحنى ويلتقط عن المنضدة علبة سجائر جيرى وعليها الأحرف الأولى من اسمه فقالت له:

«إنها علبة سجائر جيرى.»

«وهل تحمل لك ذكريات عذبة أثناء نومك؟»

قال ذلك وعيناه تبرقان ولكنها لم تفهم قصده. وقالت:

«أنا لا أفهم ما تقول يا لو. ماذا بك؟»

ووضعت يدها على ذراعه ولكنه تخلص منها وقال:

«أسألك عن وجود علبة سجائر كوفمان هنا.»

www.elromancia.com

«سقطت منه ليلة أمس.»

«ماذا؟»

«تعطلت سيارته فاضطر أن يمضى الليلة هنا.»

«هذا لحسن حظك. وهل نعمتما معًا بهذا الحظ؟»

فانهمرت الدموع من عينيها... تلك الدموع التى نتجت عن ضعفها وايضًا عن فرحتها برجوع لو إليها، ثم استبدال تلك الفرحة بالحيرة والعذاب. وهمست تقول:

«هل تدرى معنى ما تقول؟»

وكان رده بأن ألقى علبة السجائر على الفراش بجانبها وهو يقول:

«هذه هى علبتك المسحورة. ربما كفكفت دموعك.»

ارتجفت بشدة لقسوته. فهل هى تحبه حقًا وعواطفه بعيدة عنها وكرامته تجرح إذا تخيّل رجلاً آخر ينظر إلى دميته الرقيقة؟ إنه لا يحبها بل يستعرض غيرته العمياء.

وفجأة شعرت بالتعب من لو ومن كل شىء فقالت:

«ظن بى كما شئت يا لو.»

وحاولت مغادرة الفراش فسقطت فى هوة سحيقة من الظلام، وشعرت أن يدين قويتين حملتاها ولكن كل شىء اختفى ومات فى السكون. وبعد ظهر اليوم نفسه فقدت فاى جنينها فى مستشفى ريفى خارج تايم. وبقى لو فى غرفة الانتظار يعانى عذابًا لم يشعر به من

قبل، ويلعن نفسه ويلعن طبعه الحاد الذى جعله يؤلم فاى ويرميها بالتهم وسقط على أحد المقاعد متسائلاً:

«لماذا لا يخرج الطبيب ويطمئنه بأن فاى بخير.»

وانتابه الخوف وهو يتذكر فاى عندما سقطت بين ذراعيه وظنها ماتت لأن الدم هرب من وجهها وأطرافها تثلجت وراحت فى غيبوبة.

وخيّل إليه أن ساعات انقضت قبل أن يدخل عليه الطبيب ويخبره أن فاى فقدت جنينها وأنها نائمة. وعليه أن يذهب ويعود فى الصباح.

«وهل هى بخير؟ يمكننى المبيت هنا.»

«الاجهاض ليس سهلاً ولكنه ليس مميتًا. وسوف تجد زوجتك بخير فى الصباح. ونصيحتى لك أن تستريح وتدع القلق جانبًا.»

ولكن لو لم يدع القلق جانبًا. وكان مازال قلقًا عندما زارها فى اليوم التالى. وقادته الممرضة الشابة إلى غرفتها وقالت له:

«الزيارة لا تتعدى خمس عشرة دقيقة.»

تقدم لو إلى السرير ووجد فاى ترقد بهدوء فقال:

«يؤسفنى ما حدث يا عزيزتى.»

فراحت تراقبه بسمرته وقامته الطويلة. وعجبت لسكون قلبها على غير عادته إذ كانت تتلاحق دقاته عندما تراه وترقص الفرحة فى عينيها. وعجبت لشعورها الميت وكأن عواطفها. انسحبت منها. وماتت مع جنينها. ثم ردت تقول:

www.elromancia.com

«ولماذا الأسف. إنه طفلى والله وحده يعلم كيف أتى. ولكنه قطعًا لم يأت بالطريقة التى لمحت إليها بالأمس.»

«أنا أحتقر نفسى أكثر من احتقارك إياى. وألوم نفسى على كل ما قلته لك.»

«ليتنى كنت قادرة على احتقارك يا لو فذلك أهون من عدم شعورى بأى شىء تجاهك.»

«ماذا تعنين بقولك هذا؟»

«إنى أنظر إليك ولكننى لا أشعر بشىء.»

ثم أتى إليها وجلس بجوارها. وأخذ يدها بين يديه. وقال:

«لا ألومك لكل هذه المرارة يا فاى. من طبعى الغيرة العمياء. وأنا واثق أن رصاصة فى القلب ما كانت لتؤلمنى أكثر مما آلمنى قولك إنك لم تعودى تحبيننى.»

«ولكن ما هو الحب يا لو؟ إنه هبة ريح يولد فى لحظة ثم يختفى. كنت على حق عندما قلت ذلك، ولقد أحببتك لحظة رايتك ولكننى توقفت عن حبك فى يوم واحد.»

«فاى.. إنى لا أريد أن أفقدك أبدًا يا صغيرتى.»

وتعجب أنها لم تتأثر بكلامه. كانت قبلاً تصلى وتتمنى أن تسمع مثل هذه الكلمات منه. والآن، وقد قالها، فلم تشعر بشىء من الفرحة أو السعادة. وسمعته يقول:

«لن أدع كوفمان يتسبب فى القطيعة بيننا.»

«إنه شىء بعيد عن جيرى، برغم أنه قال يومًا إنك سحرتنى. والآن وقد بطل ذلك السحر أصبحت حرة وأريد أن أبقى حرة.»

وطفرت الدموع من عينيها وأضافت:

«دعنى أذهب يا لو.»

«إلى أين يا صغيرتى؟ هل تقصدين أن تتركينى وتذهبين يا حبيبتى؟»

«نعم أريد ذلك وكان يجب ألا أقوم بهذه الرحلة، فقد حذرنى الطبيب منها وكنت سأحتفظ بطفلى لو سمعت كلامه.»

وانخرطت فى البكاء مما ألم لو الذى قال:

«لا أدرى لماذا أخفيت عنى الخبر، كان لابد من اطلاعى عليه.»

«لأنى كنت متأكدة أنك لا تريد الطفل.»

وآلم هذا الرد لو فقال لها:

«أشكرك لأن حكمك علىّ ما زال سيئًا يا فاى.»

وكانت كلماته بلغة المداعبة ليخفف عنها، وكانت كفيلة بأن تندم على كلامها لو أنه سمعتها بالأمس ولكنها اليوم لا تحبه.

وجاءت الممرضة الشابة لترى دموع فاى فقالت للو:

«يحسن بك أن تذهب الآن يا سيد مارش، فما زالت زوجتك ضعيفة ولا بد أن تستريح.»

www.elromancia.com

وكانت الحقائق التى ذكرتها فاى قد آلمته، لكن نظرتها إليه وكأنها تنظر إلى شخص غريب آلمته أكثر. وفهم المرارة التى تشعر بها ولكنه لا يقبل عدم مبالاتها به. ثم مال ولثم خدها برقة وقال:

«سنتحدث فى كل شىء غدًا عندما تشعرين بالتحسن.»

ولكن عينيها نظرتا إليه من خلال دموعها.. نظرات فزعة كعينى طفل ضال.

وفى اليوم التالى وجدها هادئة. بل إنها ابتسمت له ابتسامة خفيفة فقال:

«استمعى إلىّ جيدًا. قبل بروستر أن يمثّل معنا الفيلم وسنصوّر المناظر الخارجية فى أسبانيا. فهل ترغبين فى الذهاب معنا؟»

وهزت رأسها رافضة فانفجر يقول:

«أنا لا أفهمك، أسبانيا بلد جميل فيه إثارة وخيال وسوف تستمتعين بوجودك هناك ولا أرى سببًا لبقائك وحدك فى انجلترا.»

«ولكنى سأعود إلى عملى كممرضة.»

سوهل هذا الاستعراض الصبيانى لأنى قلت لك كلامًا فى لحظة غضب؟ لقد اعتذرت عن ذلك، فهل تحبين أن أركع أمامك قبل أن تقبلى اعتذارى؟»

وكانت فاى قد تحسنت واختفت معالم الإرهاق التى بدت عليها، وبان لون الدم فى وجهها. وبدت هادئة واثقة مما تقول:

«لا يا لو. أنا لا ألجأ إلى طرق صبيانية بل استعدت كرامتى ولن أكون دميتك المدللة بعد الآن، ولن اتيك راكعة عندما تشير إلى بأصبعك ولن أذهب معك إلى أسبانيا.»

«وهل تتوين حقًا الرجوع إلى حياتك الماضية كممرضة؟»

وهزّت رأسها بعزم وهى تقول:

«كنت أشعر أننى راجعة إليها يومًا ما.»

ثم خلعت خاتمه من اصبعها وأمسكت بيده ووضعت الخاتم فى كفه وأطبقت أصابعه على البريق الثمين الذى أصبح لا معنى له.

حرصت ألاّ تطل نشوة الانتصار من عينيها، ولكنها كانت تسرى فى دمائها بعد أن أزاحت لو من قلبها وأغلقت دونه أبوابه. واستعادت كرامتها وثقتها بنفسها. وتحررت من عبوديتها. فقال لها:

«ألا تخشين أن أرغمك على الذهاب معى إلى أسبانيا؟ فأنت إلى الآن مازلت زوجتى.»

«إننى زوجتك ولكنى لست كلبة عندك. ولن تجرؤ على أن تجذبنى من شعرى.»

«إذن لى طريقة أخرى.»

ثم مال عليها.. ولكنها لم تتأثر بل شعرت أنه شخص غريب. ورأت فى عينيه هزة سببها عدم تقبلها فقال:

«يبدو أننى لست محظوظًا فى انتقاء النساء.»

www.elromancia.com

«يبدو فعلاً يا لو. إينز هولدن لم تمت منتحرة. هل عرفت ذلك؟»

«نعم عرفت. كانت من الأنانية بحيث تضن على جمالها أن تحطمه عربة نقل.»

ووقف وألقى الخاتم فى جيبه وقال:

«حسنًا يا فاى إذا أردت أن أختفى من حياتك للأبد فسأفعل.»

وذهب لو إلى أسبانيا بمفرده....

وراته فاى يذهب بدون أن تتأثر. لم تعد تبكى حتى لفقد طفلها الذى ضحت به من أجل لو، وتحررت من الماضى ومن كل مؤثراته حيث امتزج الألم بالنشوة، وتلاقى الكره بالحب.

واستأجر لو لها مسكنًا فى لندن لتقضى فترة النقاهة فقضت أيامها يشغلها القليل من رياضة المشى والقليل من القراءة وكتابة الرسائل. كتبت إلى الدكتور فورستر تبلغه أنها فقدت جنينها. وكان فورستر ودودًا متفاهمًا. كتبت إليه لأنها أرادت أن تتحدث إلى صديق، كما أخبرته أنها عزمت على الرجوع إلى مهنة التمريض، فردّ يقترح عليها العمل فى المستشفى أنيتاهيل. وهو المستشفى الذى مات فيه بيل، ويشجعها على أن تتغلب على مشكلاتها الشخصية، وألا تحجم عن الذهاب إلى هوليوود للعمل هناك، ونصحها أن تبحث داخل قلبها لتتأكد أنها لا تضحى بشىء تحتاج إليه فيما بعد.

انتابها الأرق تلك الليلة، وأخذت تتسائل إذا كان ماكس فورستر على حق. وتفكر فى المستشفى بأبنيته البيضاء وأشجار البرتقال التى

تملأ حدائقه المعتنى بها، ومنزل الممرضات الذى بنى على أحدث طراز ولا يبعد عن المستشفى سوى عشر دقائق سيرًا على الأقدام.

وعادت فاى إلى هوليوود وتدخل ماكس بنفوذه ليجد لها مكانًا فى مستشفى أنيتاهيل. كانت فاى على كفاءة عالية فى التمريض، وسرعان ما اندمجت فى عملها ومرت الأيام بسرعة تليها الأسابيع، وكانت تنوى أن تكتب إلى لو لكنها لم تفعل. فما أهمية ذلك؟

ولم تندمج فاى فى الحياة الاجتماعية فى المستشفى ولم تلب دعوات الأطباء الشبان الذين حاولوا التقرب إليها وعاشت وحيدة تمارس بالرياضة المشى الطويل وتزور أحيانًا السيدة ميمى فورستر زوجة الدكتور فورستر.

ومرّ شهرا مايو ويونيو. وبحلول شهر يوليو ارتفعت الرطوبة فى الجو، واشتد الحر. وهطلت الأمطار كأمطار البلاد الاستوائية، واجتاحت المدينة موجة من وباء الأنفلونزا ملأت المستشفى بالمرضى، فلم يدع لها العمل المتواصل الوقت كى تفكر فى الماضى أو تحاسب قلبها الذى كاد لو أن يحطمه. وذات يوم نظرت إلى مفكرة الحائط فدهشت لحلول شهر أغسطس، وسمعت زميلة لها تقول: «هذا العام مرّ سريعًا. كنت مع صديقى فى مثل هذا الوقت من العام الماضى نقضى أجازة فى هونولولو استمتعنا كثيرًا بها فهل تتذكرين أجازتك أيضًا؟»

«لم أكن فى إجازة. بل كنت أمرض سيدة عجوزًا فى كازا روش اسمها السيدة لورا مارش. وكانت سيدة مهيبة سريعة الغضب»

«هل تقولين السيدة مارش من كازا روش هذا عجيب.»

ثم أخذت صحيفة عن المنضدة وقلبت صفحاتها وأعطتها لفاى لتقرأ. خبر وفاة السيدة مارش بنوبة قلبية. وبسرعة قصدت فاى غرفة رئيستها التى صرحت لها بإجازة مدتها أربعة أيام.

صرفت فاى التاكسى الذى أوصلها إلى لوريل باى. وارتقت السلم وهبّت أن تقرع الجرس عندما فتح الباب فجأة. ورأت أمامها ويل برونسون زوج ديللا، الذى قال لها:

«رأيتك من النافذة وأنه لكرم منك أن تحضرى. لو هنا، فقد أتى هذا الصباح.»

«لو! لم أتوقع أن يكون قد عاد الآن من أسبانيا.»

وقبل دخولها غرفة الاستقبال قال لها ويل:

«اسمعى يا فاى. إذا كنتما على خلاف فلا تخبرى ديللا بذلك، فلو لم يشر لها بشىء. ولما سألته عنك قال لها إنك تعانين من نزلة برد منعتك من الحضور. أما ديللا فهى ليست على ما يرام لأنها تنتظر مولودًا. بالإضافة إلى صدمة وفاة جدتها.»

«مولود!! إنه شىء عظيم.»

«ديللا تريد صبيًا، أما أنا فأتقبل ما يرزق به الله.»

«وهل ديللا سعيدة بالمولود المنتظر؟»

«كانت سعيدة حقًا إلى أن حدثت وفاة السيدة مارش، فقد كانتا

متعلقتين بعضهما ببعض.»

وفتح باب الغرفة وسبقته فاى فرأت كل شىء على حاله لم يتغير وشمرت بلو وهو يراقبها ويقف ويقول:

«فاى!»

ثم ركضت فاى بجانب ديللا واحتضنتها، فقالت ديللا وهى تبكى على كتفها:

«أنا سعيدة بحضورك يا فاى، وجدتها ميتة على كرسيها، وظننت لأول وهلة أنها نائمة.. كنت أحبها كثيرًا.»

وظلّ لو واقفًا، ومدّ يده إلى جيبه وأخرج سيجارًا أشعله وراح ينفث الدخان الأزرق وينظر من خلاله إلى فاى.

وتمت مراسم الجنازة فى اليوم التالى، وكانت ديللا هادئة لكنها فقدت هدوءها عندما قرأت الوصية بعد ذلك، وفيها أعلنت السيدة مارش أنها تركت كل ما تملك إلى حفيدتها ديللا، بما فيها هذا المنزل. أما لو فلم تشر إليه فى الوصية أبدًا، وصاحت ديللا تقول للمحامى ووجهها محتقن:

«هذا ليس عدلاً، لابد أن أتقاسم الميراث مع لو، فلست راغبة فى كل التركة.»

فقام لو واحتضن ديلا وهو يقول للمحامى:

«أنا موافق على الوصية، راض بها، فلم أتوقع أن تشملنى أبدًا. وهى وصية عادلة، فلقد كنت يا ديللا الشمس التى تضىء حياة جدتنا،

بينما كنت أنا الصبى الشقى، ولذلك تركت لك كل شىء فأطيعى رغبتها واملأى لوريل باى بنصف دستة من الأطفال.»

لم تنس ديللا موضوع الوصية، فتحدثت عنها مع فاى وهما تتمشيان فى طرقات الحديقة وتقول:

«إن لو لا يهتم بالجانب المادى ولكن جدتى آلمته بإخراجه من الوصية. فهى لم تحبه مثلما أحبتها. وكانت ديللا تمسك بيد فاى وفجأة قالت لها:

«أين خاتم زواجك؟»

اضطربت فاى فى الإجابة فاستطردت ديللا تقول:

«لا داعى للإجابة لا داعى للتفسير.»

«كان يجب ألاّ أتزوج لو، ولكنى كنت مبتهجة لطلبه الزواج منى.»

«والآن، بماذا تشعرين؟»

«لا أشعر بشىء فالسحر قد زال ولذا صرت أفكر فى لو باتزان بعد أن كان الشمس المشرقة على حياتى، والسحر الخارق الذى يشدنى إليه. والآن أصبحت أحدق فى لا شىء.»

فقالت ديللا:

«إنه لشىء محزن.»

فقالت فاى:

«لا تقلقى علينا يا ديللا فالأفضل لنا أن نفترق.»

«ولكن ما السبب؟»

«لأن الزواج يا عيزيزتى، مثل البيت، لا يمكنه أن يقوم على حائط واحد. ولقد حاولت لمدة سبعة أشهر أن أقوّم هذا الزواج ولكن الانهيار المحتوم وقع فى النهاية. وليست لدى النية لإعادة البناء على الأنقاض.»

«وهل طلب منك لو إعادة البناء؟»

«لا أريده أن يطلب منى ذلك. والآن هل أنت مرتاحة مع ويل؟»

«نعم إنه طيّب معى وصبور.»

«سوف يكون نعم الأب.»

«ومثله لو... أقصد أن الرجال الذين لم يكونوا سعداء فى طفولتهم يجاهدون كى يكون أطفالهم سعداء.»

«ألم يكن لو سعيدًا فى صباه.»

ورأته فاى فى خيالها صبيًا يافعًا طويل القامة متعاليًا. ينغمس فى الشرّ وهو يضحك تمامًا كوالدته الجميلة. ولذلك لم تشعر جدته بأى حنان نحوه. ثم قالت ديللا:

«كان لو لا يحكمه شىء، ولم تفهمه جدتى، وأحبتنى لأننى كنت صغيرة أطيعها وأتبع ارشاداتها. ومن الغريب أن لو كان يعبد أمنا.»

ففتحت فاى عينيها فى دهشة وقالت:

«لم أكن أعلم ذلك، وكنت أظن أنه يكرهها.»

«لقد كرهها بعد أن تزوجت وتركتنا. وكان فى الثانية عشرة من

www.elromancia.com

عمره، وكصبى فى سنه تالم من هذا التصرف الذى قتل فيه كل ثقة بالنساء وأنا متاكدة أنه تسبب فى إيذائك. وإلا ما رغبت فى الخلاص منه، ولكن لا تكرهيه يا فاى.»

«ولكنى لا أكرهه.»

وأثناء العشاء فى تلك الليلة قال لو لفاى:

«أخبرتنى ديللا أنك ستعودين إلى المستشفى يوم الخميس المقبل. وبما أن لدى بعض المهام فى هوليوود فلماذا لا نسافر معًا؟»

وقبل أن ترد عليه صاحت ديللا تقول:

«ودّعى مستشفاك يا فاى وابقى هنا معنا.»

وضحكت فاى ولم تجد أى مانع من السفر معه، ولكنها شعرت بالحرج لأن وجودهما فى القطار سوف يترتب عليه محادثات طويلة بينهما ولكنها كانت قادرة على مواجهة هذا الموقف. فلم يعد لو يخيفها بل وجدته تغيّر قليلاً. فقد تقبّل الوضع بأنها لم تعد ملكه. ولذا لم يعد ينظر إليها من عليائه.

ثم قالت فاى:

«إننى أحب العمل فى مستشفى أنيتاهيل.»

ثم رجهت الكلام إلى لو وقالت:

«هل أنت متاكد أنك ستسافر يوم الخميس وأنى لا أستعجلك بالسفر؟»

«يا إلهى... كلا... ديللا سيسعدها سفرى.»

ردت ديللا:

«هذ ليس من الحقيقة فى شىء، وأود أن تبقى دائمًا هنا لولا أنك ستكون ذا تاثير سىء على ويل.»

وكان ويل يقدم إليها البندق البرازيلى ويقول:

«كلى البندق ولا توجهى إلىّ الاتهام. كانت لى مغامراتى العاطفية قبل أن أتزوجك.»

فردّت ديللا تقول:

«لست أدرى ماذا أفعل. إذا أنجبت طفلاً ذا شعر أحمر. وإذا حدث فسوف أعطيه لك يا فاى. لأنك مولعة بتربية الأطفال.»

ردت فاى:

«هذا صحيح ولكن قد يولد طفلك أصلعًا ككرة البلياردو!»

عندما تركت فاى منزل الأسرة مع لو كان الضباب الخفيف يخيّم على المنزل، ثم ازداد كثافة عند وصولهما إلى المحطة. فنظر لو فى ساعته وقال:

«إن هذا الضباب يؤخر بلا شك وصول القطار.»

«هل أنت مرتبط بمواعيد فى هوليوود؟»

«إنها مواعيد غير عاجلة لاستشارات أولية لعرض فيلم لوكريس فى أوروبا.»

www.elromancia.com

«لوكريس. هل هو فيلم جيهد يا لو؟»

«أظن ذلك. لأن المناظر الخارجية رائعة. كان سيروق لك رؤيتها فى طليطلة، حيث صورنا أجزاء من الفيلم. إنه مكان غريب يحرك الدماء بأسراره الخفية التى تنتمى إلى الماضى.

وصل القطار وجلسا بإحدى الكبائن. قال لو:

«ساخرج إلى الممر لأدخن أتسمحين؟»

راح لو يدخن وهو يفكر، وينظر إلى الظلام خارج نافذة الممر فلا يرى إلا الظلام الذى يغلف تفكيره.

وبعد نصف ساعة، عندما رجع إليها. وجدها مازالت جالسة فى ركنها تنظر من النافذة. ولم تشعر بدخوله عليها فوقف يراقبها وهو يهتز مع حركة القطار.

وفجأة تغيّرت دقات عجلات القطار الرتيبة وعبرته رجفة أحس بها لو تحت العجلات وفوق السقف، ولكنها مرّت كالبرق. وفى تلك اللحظة نظرت فاى إلى لو الذى أحس بالخطر بغريزته. فوثب إليها مادًا ذراعيه وغطاها بجسمه ليحميها لحظة خرج القطار عن القضبان وغمر المكان صراخ ممزوج بصوت تمزق المعادن وتكسر الأخشاب وتفتت الزجاج. وساد الظلام يتخلله صراخ الألم والخوف.

ومرّت لحظة الصدمة الأولى. ثم شعرت فاى أنها تجاهد كى تتنفس وتزيح عن صدرها ذلك الثقل الذى يضغط على رئتيها. ولم تتمكن من رؤية شىء ولكنها شعرت بألم فى جسدها. وكان يدور فى

رأسها صوت مذعور يردد: «وقع حادث... لابد أن أتحرر من هذا الثقل، لا بدّ، لا بدّ».

وأخذت تدفع ذلك الجسم الثقيل الجاثم فوقها وهو يكاد يزهق روحها. وكان هذا الثقل دافئًا وتحسسته فشعرت بقماش سترة لو... وتذكرته عندما دخل ووثب نحوها عندما تنبه إلى أن القطار كان على وشك الوقوع فى كارثة. وظهر فى عينيه تصميمه على أن يبلغها قبل حلول الرعب والهول. وقرأت شيئًا فى عينيه لم تتمكن من فهمه الآن وهى تكاد لا تقوى على التنفس... ربما ذلك الذى رأته حلمًا لكنها لن تفكر فيه الآن.

وجاهدت بعناء كى تخلص نفسها من ثقل جسم لو، ثم أمكنها أن تخرج يديها فرفعت لو وخرجت من تحته لتجد نفسها بين أطلال الخشب والزجاج. فراحت تلهث. وشعرت بجفاف حلقها من أثر التراب والدخان. وعندما استعادت أنفاسها تحسست لو ثانية فأمكنها سماع صوت تنفسه.

وودّت فاى لو تبدد الظلام قليلاً لترى مدى إصابة لو. وفجأة اندلعت نار فى الخارج لتنير حطام العربة بضوء أحمر متوهج.

وركعت فاى بجانب لو وأزاحت الحطام المتراكم على ظهره، وعندما مست جانبه الأيسر شعرت أن يدها مبتلة، ورأته على ضوء الحريق يستلقى بشكل غريب. وعندما تحسست جنبه الأيسر ثانية زادت المساحة المبتلة التى تنذر بالخطر. ووجدت أن ذراعه ممدودة وكأنها تدرأ الخطر الداهم، ولكنها اكتشفت أنها مضغوطة بين فكى قطعة من

المعدن الصلب فوق الكوع.

حلّت فاى رباط عنق لو بأصابع متدربة. وأخرجت من جيبه قلمه الفضى ومطواته. ثم قطعت كم سترته وقميصه ونزعتهما لتعرى ذراعه حتى يمكنها الضغط على مكان النزيف. فسال الدم على يديها من الشرايين المقطوعة وراحت تعمل بثبات وثقة رغم هلعها.

ثم قطعت جزءا من قميصها حتى تجعل منه ضاغطًا لشريان الذراع الرئيسى ولفت الذراع برباط العنق مارًا بالقطعة الضاغطة، ثم لفت " رباط فى نصف عقدة فى الجهة الأخرى من الذراع، وأدخلت فيها القلم وأكملت العقدة. ثم راحت تلفّ القلم حتى يضغط الرباط بشدة على القطعة الضاغطه ليوقف نزيف الدم.

وكان الناس يهرولون ويروحون ويجيئون وهم فى حالة هيستيريا... يصيحون وينتحبون ويصرخون فى هلع ويطغى على هذه الأصوات صوت عربات الإسعاف وسيارات الشرطة وأجراس عربات المطافئ. أما فاى فشعرت أنها وحيدة خارج هذه الفوضى على جزيرة نائية من الأسى مع لو. وكان همها أن تأتى بالنجدة له وهى تحمد الله على أن شرايين لو قد كفت عن نزف دمه. ثم عقدت الرباط جيدًا بيد ثابتة برغم خفقان قلبها وارتجاف جسمها.. والآن يجب أن تأتى بالطبيب.

تركت لو وخرجت من النافذة التى تهشم زجاجها. ولم تهتم بالبقايا الى تعلقت بإطار النافذة ومزقت ساقيها ويديها.

كانت النيران تندلع رويدا رويدا والضباب يملأ المكان وفاى تعدو بين الضباب كشبح صغير، تتحاشى النظر إلى القتلى. ثم لمحت

الطبيب بمعطفه الأبيض ينحنى على النقالة الموضوعة عبر القضبان فقصدته لاهثة، وكان الطبيب قد فرغ لتوه من إسعاف مصاب. ورأت رجال الإسعاف يحملون النقالة ويمضون بها فامسكت بذراع الطبيب وقالت له:

«هناك شخص مصاب. أرجو أن تأتى معى.»

وكان وجهها يدل على القلق والانزعاج، فلم ينبس بكلمة وتبعها وعندما وصلا إلى حيث رقد لو كانت المصابيح قد عادت تنير القطار بدلا من النيران التى أخمدت. فزحفت فاى من النافذة وتبعها الطبيب وركعا بين أكوام الزجاج والحطام قرب لو الفاقد وعيه. وراح الطبيب يفحص الرباط الضاغط الذى ربطته فاى وقال لها:

«الرباط جيد، وإنه لمحظوظ لدرايتك فى استعمال الأربطة.»

«انا ممرضة.»

ثم راحت تنظر إلى لو فوجدت كدمات سوداء. وسمعت صوت تنفسه يشهق بصعوبة. وأخذت تراقب الطبيب الباحث عن علامة للحياة فى ذراع لو المضغوطة فى عمق بين قطع معدنية. ثم قال لها:

«تهشمت الذراع كلها.»

كان الطبيب يتكلم وكان الأمر لا يعنيه برغم أنه لاحظ أن هذا الرجل يساوى الدنيا كلها بالنسبة إليها. لما كان يبدو على وجهها وفى عينيها من قلق. وأكمل يقول:

«لا بد من البتر، فمن العبث أن نخلص ذراعًا محطمة من تحت

الأنقاض. فهل تساعدينني؟»

وعندما كانت فاى تفكر بعد ذلك فيما حدث كانت تعتبر الهدوء الذى اعتراها هبة من الله. فقد كانت هادئة وكأنها تساعد أحد الجراحين فى غرفة العمليات. فالألم الذى شعرت به لم يظهر عليها وأمكنها أن تحبس عذاب القلب والروح بداخلها. ولم تنطق بكلمة وهى ترى ذراع لو تبتر ويصبح لو بذراع واحدة، وهو الذى كان كامل الجسد وسيم الشكل!

وقام الطبيب بإتمام العملية بمهارة وسرعة. ورقد لو ساكنا يتنفس بسهولة وعمق بعدما حقنه الطبيب بالمورفين. راحت فاى تحتضنه وتتحسس شعره وترفعه عن جبينه المندى بالعرق البارد. وبرغم أن ساقيها توترتا وتمزقتا من الركوع فوق شظايا الخشب والزجاج. وثوبها الممزق تلطخ بالدماء، كانت تود أن تحتضنه إلى الأبد.

ثم جاء رجال الإسعاف ورفعوا لو بعناية ووضعوه على نقالة. ثم أركبوه سيارة الإسعاف حيث أجرى الطبيب الشاب اختبارًا لمعرفة فصيلة دمه. وبسرعة بدأت عملية نقل الدم الطازج له ثم ابتسم الطبيب لفاى ليطمئنها وقفز من السيارة التى انطلقت إلى إحدى المستشفيات قرب فارمز كورنز.

٧ - البيت الجديد

وقفت سيارة الإسعاف بالباب الخلفى للمستشفى وأتى الرجال ونقلوا لو بعناية وتبعتهم فاى. ذاهلة. ثم رأت رئيسة الممرضات، ترتدى ملابس زرقاء، وتتقدم وتكلم رجال الإسعاف.

ولكن رد فعل الحادث بدأ يظهر الآن... فوقفت فاى تتمايل من الضعف والتأثر فى غرفة الاستقبال، وتشم رائحة الأدوية النفاذة وتسمع همس أصوات خافتة تصل إلى أذنيها فى موجات متلاحقة. حاولت أن تتغلب على ضعفها وتجمع البقية الباقية من قوتها وعزيمتها لتسير إلى الممرضة التى انحنت على لو تتفحصه... ها هو لو... الذى كان يتفجر صحة وحيوية، ويلمع مثل البرق الخاطف يرقد هامدًا ساكنًا. وراحت فاى تجاهد لتجعل ساقيها تحملانها كى تمر بين المصابين بالصدمات العصبية والذين تمزقت ملابسهم وسالت الدماء على وجوههم. والذين ينتظرون مثلها حكم الأطباء على أشخاص يحبونهم.

ثم وقفت فاى بجانب العربة التى تحمل لو، تستمع إلى تقرير عاجل

من أحد رجال الإسعاف للممرضة عن عملية بتر الذراع. وعرفت منه أن الطبيب اسمه رانسوم.. ذلك الطبيب الهادئ الذى ركع معها فى القطار المنكوب وراح يبتر ذراع لو بسرعة وكفاءة.

قصدت الممرضة مكتبها والتقطت سماعة التليفون لتتصل بقسم الجراحة وتقول، وهى تنظر إلى فاى بإشفاق بعينيها الرماديتين:

«أرسل إليكم حالة بتر بالذراع الأيسر توًا.»

ولم يضع أى وقت أخرج الترولى من غرفة الاستقبال فورا. بينما راحت فاى تملى على الممرضة البيانات المطلوبة كاسم لو وسنه وعنوانه. ثم سمعت صوتًا يقول لها:

«مرحبًا!»

فالتفتت لترى وجها نحيلاً جادًا. ونظرت فى عينى الدكتور رانسوم الذي وصل لتوه مع إحدى سيارات الإسعاف فحاولت الابتسام له عندما قال:

«لا تقلقى، فهذا الرجل قوى جدًا وسوف يجتاز الأزمة.»

«إنه زوجى!»

وكانت فاى ترتعد إذ تذكرت أنها أخبرت لو فى القطار قبل الحادث بنصف ساعة أن سعادتها تتحقق بالبعد عه. ثم عادت تردد:

«إنه زوجى!»

سألها الطبيب وعيناه جادتان:

«أين تمضين ليلتك هذه ؟ هل تمضين الليلة عند شقيقتى؟ إنها تسكن قريبًا من هنا. وهى سترحب بك كثيرًا.»

«ولكنى أرغب فى البقاء هنا بجانب زوجى. فربما مات. أين ذهبت شجاعتك الرائعة؟ أرجو ألا تنهارى الآن، جاهدت بجانب زوجك بعد الحادث، وعلينا الباقى الآن، لن ندعه يموت.»

فردت تقول:

«لابد أن أبقى إلى أن أطمئن. ولن أذهب قبل ذلك.»

«حسنًا. وفى أى حال ها هو عنوان شقيقتى.»

ثم أخرج ورقة وقلمًا من جيبه وكتب لها عنوان شقيقته. وقال:

«إن شقيقتى معتادة استقبال غرباء أرسلهم إليها أحيانًا، وهى طيبة جدًا.»

فامسكت فاى بالورقة التى راحت تهتز لارتعاش يدها وقالت له:

«وانت أيضًا طيب جدًا.»

ثم أخرج محفظة وأعطاها عشرة دولارات وقال لها:

«ستحتاجين نقودًا للتاكسى ولن يضيرك إذا أخذت نقودًا من صديق. وستشعرين بالراحة الأكيدة عند شقيقتى بدلاً من بقائك هنا طوال الليل.»

وشعرت فاى أنه على حق. ستذهب إلى شقيقته عندما تطمئن على

www.elromancia.com

حالة لو. ثم قالت له:

«هل يمكننى المساعدة فى المستشفى؟ سوف أجن إذا بقيت هكذا بدون عمل.»

«ولكنك لست فى حالة تمكنك من ذلك.»

«أرجوك. لابد أن هناك عملا ما يمكننى القيام به.»

«حسنًا ربما كان من الأفضل أن تشغلى نفسك بعمل شىء ما.»

ثم أخذ بذراعها وقادها إلي مكتب رئيسة الممرضات حيث تجمع الكل يسأل ويطلب الاطمئنان على المصابين. فقالت الرئيسة:

«أرجو أن تكونوا أكثر هدوءًا حتى يمكننا العمل في جو هادىء.»

لمحت رئيسة الممرضات الدكتور انسوم وهو يقترب ثم سمعته يقول لها:

«وجدت لك إحدى المتطوعات الماهرات فهذه الشابة ستساعد فى تضميد الجروح.»

«وهل يمكنها ذلك؟»

«إنها أحسن من يعقد الأربطة.»

ثم اصطحب فاى إلى عنبر الطوارئ وبعد ساعتين وصلت فاى إلى منزل كيت رانسوم بواسطة التاكسى. دقت الجرس وهى تشعر أنها دخيلة عليها ولكن كيت استقبلتها بترحاب شعرت فاى بعده بالراحة

والاطمئنان، هزت السيدة راسها بهدوء عندما همست فاى تقول إن الدكتور رانسوم أرسلها، فهى معتادة على أستقبال أصدقائه الغرباء. ولما رأت ملابس فاى الممزقة الملطخة بالدماء قالت لها:

«هل كنت ضمن المصابين فى حادث القطار المشئوم إنك فى حاجة إلى حمام. هل لك قريب في المستشفى؟»

«كم أود ذلك فأنا فى حالة لا توصف.»

ثم استطردت تقول:

«إنه زوجى. حالته خطرة ولكنه سوف يعيش.»

وفجاة امتلأت عيناها بالدموع واستندت على حاجز السلم وانهارت فانهمرت الدموع بغزارة على وجهها الذي عصف به الألم. وكان قلبها يتساءل إذا كان مقدرًا لها أن تفترق عن لو فلماذا لم يمتها الله في الحادث؟ ثم أخذت تفصح عما بها قائلة:

«يجب ألا أبكى أبدًا. فلو سوف يشفى إذن لن أبكى.»

فردت عليها كيت رانسوم تقول:

«الله خلق الدموع كى نبكى فنستريح فى مثل هذه الأحوال.»

وبعد مضى بضعة أسابيع جلس لو فى شرفة المستشفى يستمتع بالشمس مبتسمًا لأن جويس الممرضة السمراء النحيلة، وجدت حجة أخرى لتاتى إليه، فأحضرت هذه المرة عصير البرتقال المثلج.

وقالت له وهى تصلح من غطاء ساقيه:

www.elromancia.com

«هل أنت متأكد أنك لست معرضًا لقدر كبير من حرارة الشمس؟»

وكانت تنظر إليه برعاية الأمومة وعاطفتها الجياشة. حتى أنه كتم ضحكة كادت أن تفلت منه. فهى صبية لطيفة وممرضة بارعة مثل باقى الممرضات. فسألها:

«هل يمكنك إحضار فرشاة للشعر لأنى أريد أن أجمل نفسى قبل حضور زوجتى.»

فأحضرت له الفرشاة ووقفت تنظر إليه وهو يمشط شعره الأسود. فقد كانت معجبة به إلى حد كبير وتشعر بغيرة من زوجته حتى أنها كانت تحييها عادة بدون اكتراث. فلما دخلت عليهما فاى قالت جويس بتحفظ.

«طاب يومك يا سيدة مارش.»

ثم تركت الشرفة ومضت بينما ابتسمت فاى وقالت للو:

«إننى أرثى لحال هذه الفتاة المسكينة فهى معجبة بك.»

ثم أردفت تقول:

«إنك تبدأ فى التحسن.»

وكان هذا صحيحًا برغم أن بعض اثار الحادث مازالت بادية عليه. ولكن الشحوب الذى كان يكسو وجهه قد زال إلي حد كبير. وبدأ يخطو نحو الشفاء سريعًا، إذ تحمل صدمة فقد ذراعه بشجاعة لم تتوقعها فاى. ولكنها لن تنسى اليوم التالى للحادث عندما جلست بجانب

فراشه تنتظر استيقاظه من غيبوبته. وكانت أول كلماته لها عندما أفاق:

«أش ر وكاننى نائم على لوح يطفو على الماء؟»

فهزت رأسها ولم تتمكن من الرد، وكانت تود أن تركع بجانب السرير وتبكى كطفلة.

وعاد يسأل وهو ينظر حوله فى حيرة ويبذل مجهودًا ليتذكر برغم تأثير المخدر الذى أسدل ستارًا كثيفًا على حواسه:

«ماذا أفعل هنا؟»

ثم استدار جهة اليسار حيث الألم المتركز فى ذراعه. وهنا انقشع الستار وأخذ يتذكر وقال:

«لقد بترت ذراعى.. هه..؟»

وأخذ يتفحص وجه فاى بينما كانت تنتظر ما يقوله:

«على كل حال.. هذا أفضل من بتر رأسى؟»

وأغلق عينيه وراح فى سبات من الاجهاد.

وامتثل لفقد ذراعه بالهدوء نفسه الذى جعله يقفز فى العربة ليحميها. وبعد أسبوع أخذت صحته فى التحسن بسرعة وعادت إليه روحه المرحة واسترد حبه للفكاهة حتى في حديثه عن ذراعه. وأحبته الممرضات جميعهن لوسامته واستخفافه بعاهته. فكن يدخلن عليه مرات عديدة يتحدثن معه ويتبادلن معه النكات وكانت فاى تزوره

www.elromancia.com

يومين. فقد صممت كيت على أن تبقي عندها فحمدت فاى ربها لأن منزل كيت أفضل كثيرًا من وجودها فى أحد الفنادق.

وتسربت إلى الجرائد أخبار حادث لو بسرعة فانهالت المكالمات التليفونية والبرقيات من هوليوود تعلن الأسف والتمنيات بالشفاء. وجاءت مكالمة تليفونية من ثاليا تطلب بعض كلمات من لو لتنشرها فى اويتها فى الجريدة. فالتفتت فاى إليه تسأله رأيه فرد يقول:

«قولى لها أن تذهب إلى الجحيم.»

لكن فاى أجابتها:

«لو يشكرك على سؤالك عنه وهو يتحسن بسرعة ويقول إن هذا أحسن من بتر رأسه. وليست أدرى متى يمكنه مغادرة المستشفى. نعم كنت محظوظة لنجاتى. أما سبب الحادث فيقال إنه الضباب الذى انتشر تلك الليلة. نعم كانت تجربة مريرة. ونحمد الله أن القطار لم يكن مزدحمًا. ومع ذلك كان هناك عدد كبير من القتلى والجرحى.

وأظهر لو إلى فاى امتنانه لبقائها فى هذه البلدة الصغيرة المسماة فارمرز كورنز. تزوره فى المستشفى يوميًا. تكتب له الرسائل وترد على المكالمات وتأتى بالهدايا. ولكنّ عينيه لم تبديا سوى الامتنان لها. أما فاى فكانت تخشى المستقبل وتتساءل عن وضعها وهل يبقى كما كان قبل الحادث؟ وهل تواجه الانفصال التام عنه؟ ثم تذكرت النظرة العاطفية التى ومضت فى عينيه وقت وثوبه إليها وانتزاعها من مقعدها وضمها إليه. ثم نزولهما معا إلى الدوامة القاتلة. وقالت فاى:

«أظن أن صبرك نفد لانتظارك يوم السبت. كم كان سرورى إذ أخبرنى الدكتور رانسوم أنك ستغادر المستشفى حينذاك! ألست مبتهجًا لذلك؟»

«نعم إننى سعيد جدًا لذلك.»

وفجأة نظر إلى الجهة الأخرى وهو عابس. فضحكت فاى وقالت:

«سوف تأسف لفراق هولاء الممرضات!»

فهز كتفيه ولكنها دنت منه وسألته:

«ماذا بك يا لو؟»

«لا شىء.. منزعج قليلاً لأن الجميع فى هوليوود سوف يبالغون فى الأمر ويعطون لذراعى المبتورة أهمية كبرى.»

«إهم يضمرون لك الخير.»

«أعرف ذلك لكنهم يبالغون في كل شىء. وقد حدث لى ذلك الحادث وتقبلته ولكن إذا حدث أن جاءنى من يقول هذا شىء فظيع سأناوله ضربة قوية، فساعدينى يا فاى.»

«هذا ما تظنه الآن ولكن عندما تعود إلى بيتك، سوف يتغير تفكيرك.»

«ربما غيرت فكرى كلية وسافرت إلى الخارج، لدي الدنيا كلها أختار منها بلدًا أذهب إليه.»

نظرت إليه فاى بقلق بالغ وقالت:

«أتترك عملك؟ افتتاح فيلم لوكريس في هوليوود بات وشيكًا. ألم يخبرك ك. ك. تلفرافيًا بذلك؟ إنك لن تخذله يا لو.»

«ألا تعرفين يا صغيرتى أنه بمجرد وضع الفيلم في علبته يصبح مخرجه عديم الأهمية. فيلم لوكريس سيعتمد على مزاياه فقط وربما رجعت ثانية إلى طليطلة فهى بلدة ساحرة. وربما استأجرت بيتًا صغيرًا هناك وبقيت حتى عيد الميلاد ثم أرجع لأرى طفل ديللا.»

«بمناسبة ذكر طفل ديللا وصلتنى رسالة منها اليوم.»

ثم أخرجت رسالة من حقيبة يدها وأخذت تقرأ فقرات منها:

إن الطفل بخير قولى للو إن سميّه ورث عنه ميوله نحو الجنس الآخر. فهو يبتسم للنساء فقط وهو بلونه الأسمر وعينيه البنيتين الواسعتين ينتمى إلى أسرة مارش. ذلك مع أنى كنت أظنه سيرث لون شعر أبيه الأحمر. وإنى أتطلع إلي اليوم الذى تأتين فيه لرويته. وهل أخبرك ويل عند زيارته للو أننا أعددنا له ركنًا للعبه ووضعنا فيه أرجوحة ورسمنا على جدرانه رسومات من والت ديزنى وإنى متأكدة أنك ستعشقين طفلى الصغير اللطيف فهو يتكلم بعينيه. أحضري لو عندما يتحسن وعندما يراه...

ثم كفت فاى عن القراءة وكسا وجهها الاضطراب.

وفي الحال تذكر لو الغرفة الصغيرة فى فندق ثيم حيث فقدت فاى طفلها. فراح يجاهد حتى يتغلب على تلك الذكرى. ثم قال لفاى:

«ديللا تألمت لأن زواجنا لم يقدّر له النجاح كما نجح زواجها.»

فتألمت فاى وأرادت أن تقول له «كلانا اخطأ. فانت لم تأخذ كل ما عندى. وأنا كنت أنتظر أن تعطينى أكثر مما عندك.»

لكنها آثرت أن تقول:

«يا لو. ماذا تريدني أن أفعل بخصوص يوم السبت؟ أقصد إذا كنت لا تنوى الرجوع إلى البيت؟»

«لا تقلقى علىّ يا فاى.»

«ولكنى قلقة. كيف يمكنك التصرف بمفردك.»

«طبعًا سوف أطلب من الخادم أن يساعدنى على ارتداء ملابسى، ومن النادل أن ينظف ملابسى عندما أسكب الحساء عليها.»

ولكن ابتسامته تلاشت عندما رأى وجه فاى وقد شحب وهو يقول لها:

«إننى أداعبك فقط. ابقيتك بجانب سريرى لأسابيع عديدة وأريدك أن تطيرى نحو الشمس.»

«أطير نحو الشمس.»

«نعم افردى جناحيك وطيرى نحو الشمس وانسي وجودى.»

«لا تتكلم بهذا الأسلوب يا لو.»

«هذه هى الحقيقة فمن الآن لن آخذ المزيد من وقتك أو من

شفقتك وسابقى بمفردى.»

«هذا خطأ فى أفكارك وأنت تعرف ذلك.»

«يجب أن ترجع إلى بيتك وسأذهب معك لأن قلبى لا يطاوعنى على تركك تتعثر وأنت تخدم نفسك. سوف أكون ذراعك التى فقدتها.»

«ولكنى أريد الذهاب إلى طليطلة.»

«لا تكن مجنونًا. تمهل قليلاً حتى تسترد صحتك كاملة. ثم اذهب حيث تشاء. ولكنك الآن تحتاج إلىّ بلاشك.»

«إنك مثل الممرضة جويس وأتمنى أن تعامليني برقة مثلها.»

«هل تذهب إلى البيت يوم السبت؟»

«نعم أيتها الممرضة.»

وحان وقت انصراف الزوار فقالت فاى:

«يجب أن أذهب الآن حتى لا تطردنى ممرضتك جويس الحسناء، وسوف أتى غدًا. تركت لك بعض الحلوى مع الكتاب الذى طلبته.»

«أشكرك يا فاى.»

وكان لو مازال ينظر إلى الباب الذى خرجت منه فاى عندما دخل الدكتور رانسوم الذى قال

«زوجتك، بجانب شجاعتها النادرة إنسانة وفية وطيبة جدًا.»

«شجاعة؟ لأنها تزوجتنى؟»

«لا، بل أقصد أنها أنقذت حياتك ليلة الحادث. ألم تعرف؟ إنك كنت معرضًا لفقد حياتك من النزيف لولا يقظتها. فقد أعدت الرباط المناسب مما ساعد على إيقاف النزيف، ثم ساعدتنى بعد ذلك فى إجراء علمية بتر ذراعك بكل كفاءة. وكانتا في غرفة العمليات. وكان الدم يلطخ وجهها وشعرها وهى تجاهد لإنقاذ حياتك تلك الليلة. وتبذل مجهود عشرة رجال...»

وبرقت عينا لو بدهشة بالغة.

وراح يفكر... «وكان الدم يلطخ وجهها وشعرها» كانت تجاهد. لدرء الموت عنه. هل لأنها أحبته يومًا ما؟ أم أنها تفعل ذلك لأى إنسان لطبيعة عملها كممرضة؟

وعندما عبرت فاى ولو مدخل كريستال كورت الهادئ مساء السبت إلى بيتهما قال لو:

«أين نتناول عشاءنا الليلة؟ هل عندك اقتراح معين؟»

فنظرت إليه فاى وقالت:

«في الحقيقة يا لو وعدت ميمى وماكس أن أزورهما فور رجوعى إلى هوليوود، وربما تناولت العشاء عندهما.»

«أهو ماكس فورستر طبيبك؟»

«هو وميمى لطيفان للغاية. اتخذتهما صديقين لى أثناء عملى في مستشفى أنيتاهيل.»

www.elromancia.com

«يبدو أنه سيكون لقاء لطيفًا.»

ووقف بجانبها في المصعد وود أن يلمش شعرها الذهبى القصير، الذى كانت ترتدى فوقه قبعة صغيرة لونها أحمر غامق. ولكنه تراجع بصعوبة فهى لم تعد له حتى يلمسها. وإن كانت معه في المصعد الذى يقلهما إلى بيتهما حيث عاشا معًا، وأمضيا أوقاتا سعيدة.

ولكنها كانت معه لأنه يحتاج إلى ممرضة تساعده فى ارتداء ملابسه. فتصلح من رباط عنقه وتربط له حذاءه وتعينه على تناول طعامه. وبعد وقت قصير سوف يتعلم أن يخدم نفسه وعندئذ تتركه لحاله وتمضى... نعم عندما يمكنه الحياة بذراع واحدة سوف تودعه.

خرجا من المصعد وبينما كان لو يفتح باب شقته كانت فاى كعادتها، تطل من نافذة الممرّ وتتطلع نحو الشوارع وقد أقبل الليل. وأضاءت الأنوار المنازل العالية، فوقف لو يراقبها برهة، ثم قال لها:

«تعالى أيتها الحالمة... سيفوتك الموعد مع أصدقائك.»

استدارت إليه لترى بعض الكآبة في عينيه فقالت له:

«هل تفضل أن أذهب معك للعشاء؟»

«لن أفسد عليك ليلتك، لقد عانيت الكثير بسببي فى الأسابيع الماضية، فاخرجى واستمتعى بوقتك.»

«هل لك أن تأتى معى لزيارة الدكتور فورستر؟»

وكانت تتوقع أن يهزأ باقتراحها، لكن فكرة تركه يتناول عشاءه فى

أحد الأندية وحده، حيث يتعرض لنظرات الرثاء، تقلقها وتمس شفقتها ولذلك تشجعت وأبدت اقتراحها.

فلم يرد عليها لتوه، بل راح ينظر إليها بصمت حيرها. وهمت أن تتراجع ولكنها قالت:

«إنهما لطيفان. اعتقدت أنك قد تود الذهاب معى.»

«أود فعلاً الذهاب معك، وجميل منك أن تطلبى منى ذلك يا فاى.»

«حسنًا... إنهما يرحبان بالضيوف. وقد ظننت أنك لن تتمتع بعشائك وحدك بالخارج.»

وبدا على وجهه تعبير ساخر. وقال لها:

«لابد من الاعتراف أننى لم أكن متحمسًا لأدع الخادم يقطع اللحم لى.»

فقالت فاى مازحة وإن كان الألم يعتصر قلبها:

«يمكنك أن تأخذ قطعة اللحم فى يدك وتقضمها كإنسان الكهوف.»

ثم حملت حقيبتها وقالت له:

«هل أنام الليلة في غرفة الضيوف؟»

«هذا طبيعى وجميل منك أن ترغبى فى مساعدتى، يا فاى. ولكنى قلق على عملك إذ كنت تواقة لأن ترجعى إليه.»

«يمكننى أن أجد مكانًا آخر أعمل فيه. فالممرضات دائمًا

www.elromancia.com

مطلوبات.»

«حتى للعاجزين من الأزواج مثلى!»

فابتسمت وقالت:

«سأستعد قبل الذهاب إلى ميمى فورستر، فالرحلة كانت طويلة ومرهقة بالقطار.»

ثم لما وصلت إلى باب الغرفة التفتت وقالت له:

«لا تنسي أن تنادينى إذا احتجت إلىّ فأنا هنا لخدمتك.»

فابتسم لو ووعدها بذلك، ولكن بعد أن أغلقت الباب عليها اختفت ابتسامته وتملكه اليأس.

لماذا وافق على أن يذهب إلى بيت الطبيب فورستر. لم يكن السبب خوفه من إخفاقه فى تناول الطعام فى محل عام. بل لأنه يود أن يكون بجانب فاى. فهو متدله فى حبها. وهذه هى الحقيقة التى يعرفها جيدًا... إنه يشعر بقلبه يخفق وهو واقف بجانب غرفتها. ولم يتصوّر أن يتملكه حبها بهذا القدر الذى يجعله يريد أن يذهب إليها ويطلب صفحها لأنه لم يحبها من قبل.

دقت فاى جرس باب بيت الدكتور فورستر وابتسمت للو وقالت له:

«لا داعى لأن تبدو مرتبكًا كأنك تزور طبيب الأسنان!»

«فعلاً أشعر بمثل هذا الشعور.»

وفتح ماكس الباب وبدت على وجهه نظرة دهشة وهو يتفحص لو، الذى مد يده إليه وقال:

«أنا لو مارش، أرجو ألا أكون متطفلاً.»

ونظر ماكس إلى كمّ لو الخاوى الذي ظهر من تحت معطفه الخفيف. وهو يمد يده لمصافحته، وإلى ابتسامته الودية. وكان ماكس مستعدًا أن يكره لو لأنه ضايق فاى وآلمها ولكن الآن، وهو ينظر إلى تلك الذراع المبتورة. وهو يتذكر الحادث الذى أدلت فاى بتفاصيله فى رسالة إلى ميمى. تلاشى ذلك الشعور بالعداوة نحوه. هذا الشيطان الوسيم لا يمكن أن يكون حقيرًا، فحب فاى الذى أبدته له فى الماضى يثبت ذلك، وقفزه التلقائى إليها فى القطار ليحميها من الموت كان عملاً شجاعًا خاليًا من الأنانية، راق ماكس كثيرًا قال ماكس:

«تعال أعرفك بميمى.»

وكانت ميمى قد سمعت صوت رجل غريب، ثم رأته داخلاً غرفة الجلوس فبدا على وجهها التساؤل: فابتسمت فاى وقالت لها وهى تقبلها:

«اصطحبت لو معى، وأرجو ألا يضايقك ذلك.»

«كلا مطلقًا.»

وكانت ميمى قد أخذت بذلك الرجل الأسمر الباسم فسألته:

«هل استعدت صحتك تمامًا الآن يا سيد مارش؟»

«أنا فى قمة صحتى.»

وراح ينظر إلى جمال ميمى بتقدير واضح، فاحمر وجه ميمى وأدركت الآن لماذا قالت فاى مرة إنها لم تتمكن من مقاومة سحر لو، كالقطة الصغيرة التى لا تقاوم كرة الصوف وسمعت ماكس يقول:

«دعنى آخذ معطفك.»

فخلعه وأعطاه إلى ماكس شاكرًا. ثم وقع نظر لو على دمية لطيفة من دمى الأطفال. وهى عبارة عن دب ملقي بجانب التليفون. إحدى أذنيه برتقالية اللون ملتوية بشكل مضحك. ويرتدى رداء من الورق الوردى. فابتسم وقال لميمى:

«أخبرتنى فاى أن عندك ثلاثة من الصبية.»

«نعم ثلاثة شياطين.. إنهم نائمون الآن فى الطابق العلوى. أرجو أن تجلس. ماذا تشرب؟»

فصاحت فاى عبر الغرفة قائلة وهى تسلم معطفها إلى ماكس:

«عصير الطماطم.»

وراح لو ينظر إلى فاى وهى تخلع معطفها. فبدا من تحته ثوبها المرجانى اللون الذي أظهر قوامها النحيل. ثم قال لميمى:

«لا تأبهى لها فهى من الناس الذين يدوخهم عصير الليمون وانى أرثى لها.»

فضحكت ميمى وقالت وهى تمزح المشروبات:

سأقدم لك خليطًا اخترعه ماكس. وأرجو أن تدعونى بميمى.»

«حسنًا.»

ثم جاءت فاى، وجلست علي ذراع مقعد لو، وأخذت تصلح من رباط عنقه وتقول:

«أنا لا أحسن ربط عنقك كما كنت تربطه أنت من قبل فأنا لست بالخادم الماهر.»

«ولكن لا بأس بما تفعلين.»

قال ذلك وهو ينظر إلى رأسها المنكس.

وجاءت ميمى بالمشروبات وقد راعها منظر فاى وهى منحنية تصلح كرافتة لو، الشخص الوسيم المهيب. أما لو فأخذ يرشف المشروب ويهز رأسه إعجابًا به، ثم سأل ميمى:

«هل ستقدمين العصير نفسه إلى فاى، إنه عصير لذيذ.»

وكان العشاء لذيذًا جدًا، وبعده دار حديث شائق عذب. وشعور باسترخاء واستمتاع وعجب لو من فرط سعادته. فقد راقت له الغرفة الهادئة بمقاعدها المريحة، وبدمى الأطفال الموضوعة قرب التليفزيون. وبالطريقة المرحة التى كانت تأكل بها فاى وميمى الشوكولاته كما يأكلها الأطفال في رحلة.

وتجسمت فاى أمامه فى ذلك البيت المريح، فإذا نظر إليها رآها على سجيتها وقد تخلصت من خجلها ومن مخاوفها.

«هل تعانى من ذراعك؟»

«أشعر أحيانًا أنى مازلت أحتفظ بيدى، وأنى قادر على تحريك أصابعى.»

سوف تتخلص من ذلك الإحساس بالتدريج. وهل ستستخدم ذراعًا صناعية بعد ذلك؟»

«لا بل أرفض الأطراف الصناعية، وساعرف كيف أتصرف بدونها.»

«إنى أقرك على ذلك.»

وفى التاكسى سألت فاى لو؟ وهى تراقب وجهه على ضوء مصابيح الشارع:

«هل أعجبك ماكس وميمى فورستر يا لو؟ إنك كنت مندهشًا. فماذا كنت تتوقع؟ إنهما لا يعرفان التعالى ولا التظاهر الكاذب. إنهما طبيعيان جدًا وهما أظرف من عرفت.»

فقال لو:

«هما علي شاكلتك لا بريق ولا سخرية لاذعة ولا أطماع دنيئة.»

«نعم.»

ثم ضحكت فاى والقت برأسها إلى الوراء على مقعد التاكسى وقالت:

«هما طبيعيان ولطيفان ومستقيمان.»

ثم تثاءبت وغطت فمها بيدها وقالت:

«يبدو أننى قد تعبت قليلاً. فهل تشعر بالتعب يا لو؟ هذا هو أول يوم لك خارج المستشفى. ويعتبر أن هذا يوم طويل بالنسبة إليك.»

فرد لو يقول:

«أمضيت ساعات عديدة في الفراش خلال الأسابيع الفائتة. ولذلك أحمد الله على أنى أقف الآن على ساقى ثانية.»

كان لو يراقبها وهو يتكلم، فاندهش لجاذبيتها واهتمامها به، لم تكن لها أساليب أو محاولات اغراء. بل كانت صبية حلوة نقية تبدو منقوعة في الندي كازهار الصباح. وشعر أنه غير واثق من نفسه وراح يتساءل كيف يتحاشاها وهو يريدها بكل قوته، بل يشتاق الآن لأن يتحسس خدها الجميل و خصلات شعرها الذهبى القصير. ويشك فى قدرته على أن يخمد ذلك الشوق. ولن يرتاح طالما هى في بيته يراها تقوم بدور الممرضة الغريبة عنه، أو الصديقة الصغيرة المهذبة. فلن يكون ذلك هينًا عليه. ثم همست فاى تقول:

«إننى معجبة بالدكتور رانسوم. فهو إنسان متكامل.»

«وهل يدهشك أننى معجب به أيضًا؟ انا أشعر أننى أود أن أدق عنقه كلما رأيته ينظر إليك. بعكس ما كنت أشعر تجاه جيرى كوفمان.»

«تدق عنق الدكتور رانسوم؟ لماذا تفعل ذلك. وأنا لا أمثل شيئًا

www.elromancia.com

بالنسبة إليك!»

«بل أنت الدنيا لى وأكثر.»

ثم تنبه لما صرح لها به، فاعتدل فى جلسته وقال:

«لا تلقى بالا لما قلته يا فاى. فهو مثل سطر رخيص داخل أحد الأفلام.»

«إنه ليس رخيصًا، بل يساوى الكثير إذا كنت تعنيه.»

وساد سكون متوتر بينهما. ثم مد لو يده إليها وعندما لمسها تبخر كل تحفظه كى يدارى حبه لها واشتياقه إليها، وهمس يقول:

«لا أقبل منك شفقة. ولكن إن كان عندك شىء آخر فسأقبله وأنا أجثو على ركبتى أمامك.»

فاحتوت فاى وجهه بين يديها وقالت له:

«لو، يا حبيبى، لا داعى لأن تجثو.»

ثم لفت ذراعها حول عنقه وقالت له:

«يا قرصانى الصغير. إنى أكره أن أراك ساجدًا. إنه شىء لا يناسبك.»

«إنك تدعيننى بالقرصان العزيز وتنسي كم آلمتك كثيرًا؟»

«اسكت.»

ثم أخذت فاي تتحسس برفق شعره الأسود بينما راحت نبضات

قلبها تقفز فرحة لقربها منها. وقد مضى ذلك الغريب الذى ودعته فى انجلترا أما لو الحالى فكان مختلفًا لأنه يبوح لها بحبه.. ثم همست تقول:

«كل ما مرّ بنا قبل هذه اللحظة لا يهمّ أما هذا الحب الذى وجدناه سويًا فهو كل شىء.»

«ولكنك صرحت لى أن سعادتك هى فى البعد عنى. وأنا أريد سعادتك ولن أتسبب فى تكبدك المزيد من الألم.

ثم ألصق وجهه بوجهها، وشم رائحة العطر الخفيف العالق بثوبها وشعر بدقات قلبها المتلاحقة فقال:

«إنك جميلة وحلوة ولا أريد أن أخسرك.»

«ولكنى لا أريد الذهاب. كنت مجنونة عندما قلت لك إن سعادتى هى فى البعد عنك. أنا لا أحيا أو أحس إذا بعدت عنك. قل لى إنك لا تريدني لمجرد خدمتك يا قرصانى الحبيب.»

«إنى أريدك لذلك يا ملاكى!»

وشعر بالرضي والسعادة وهو يدخل ثانية فى فردوس حبها الدافئ. ثم قال لها وهى ملتصقة به، وقد ندت عنها أنة تعبر عن رضاها وسعادتها:

«هل تعرفين ما أنوى شراءه لك؟»

فضحكت وقالت:

www.elromancia.com

«ولكنى لا أريد أية هدايا.»

«سوف تريدين هذه الهدية.. سأشترى لك منزلاً كمنزل ميمى فورستر مع حديقة واسعة. فما رأيك؟»

لم ترد عليه لتأثرها وتأكدها من حبه لها. ثم تأكدت كذلك أن السحب القائمة لن تطوف بذلك البيت أبدًا. بل ستظل الشمس تسطع فوقه دائمًا. وأجابت بحنان:

«سوف نسكن معًا ذلك البيت يا حبيبى!»

www.elromancia.com
مـــر مـــوريـــة